مشاعر آيلة للسقوط

د. محمد لبيب سالم

مجموعة قصصية



مشاعر آيلة للسقوط

اسم الكتاب	:	مشاعر آيلة للسقوط
النوع	:	مجموعة قصصية
تأليف	:	د. محمد لبيب سالم
إصدار	:	2021
تصميم الغلاف	:	حسن العربي
التصحيح اللغوي	:	علي فريد
الإخراج الفني	:	هند محمود
رقم الإيداع	:	2021/20971
الترقيم الدولي (ISBN)	:	978-977-994-183-7





كيانك للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية، القاهرة

مدير النشر: دكتور/ محمد أبو زيد

+20 114 240 2108

kayankpublishing@gmail.com

ببلومانيا للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية، القاهرة

مدير النشر: محمد جلال

+20 121 082 6415

www.bbibliomania.com

مشاعر آيلة للسقوط

مجموعة قصصية

د. محمد لبيب سالم

كلمة الكاتب

المشاعر الطيبة لغة القلوب وأبخرة العقول برائحة العنبر والمسك، وكلما تأججت نيران المشاعر ازداد تصاعد أبخرة الأحاسيس الحُلوة من العقل وَرَقَّ القلب. ولكن هناك من المشاعر ما تظل تتأجج حتى تنضب شعلتها؛ فتخفت رويدًا رويدًا حتى تصير آيلة للسقوط، وتصبح من الذكريات ويحترق القلب. ولكن قد تتعافى المشاعر فجأة وتشتعل جذوة الأحاسيس الحُلوة مرة أخرى بفضل كلمة حب من أحدهم، أو اهتمام، أو نظرة بعيون حانية دامعة؛ أو قد تستمر في طريقها للسقوط كما تسقط أوراق الأشجار في الخريف.

وهكذا تحيا القلوب الرقيقة التي تبحث دائما عن يد تكفكف عليها أو كلمة تطبطب عليها. وعن تلك القلوب وعن تلك المشاعر تدور هذه المجموعة القصصية التي قد تجد نفسك فيها هنا أو هناك محاولا أن تمنع مشاعرك من السقوط.

حب لا يعرف الرحيل

"الزمن لا يتركنا نفعل ما نشاء وقتما نريد"

صكت الباب وراءها بقوة وخرجت مسرعة يهزها زلزال غضب جامح لأول مرة منذ عشرة أعوام. لم تتردد لحظة واحدة وهي تقرر أن تترك له المنزل وترحل بلا رجعة بعد أن أيقنت أن الحياة معه أصبحت مستحيلة بسبب الحب الذي ترهل ويضربه هو بسكين مشاعره الباردة. تعمدت أن ترحل بلا رجعة بعد أن تأكد لها إهماله للعلاقة بينهما رغم كل ما تقدمه من مشاعر دافئة وساخنة ومتجددة. تعمدت أن ترحل بسبب سفره المتكرر وغير المبرر في الداخل والخارج وكأنه يتعمد الهروب منها.

لم تفكر لحظة واحدة في العشرين عاما الماضية التي شهدت إخلاصها ورعايته. عشرون عاما من العطاء والحب والآمال الكبيرة التي تحقق منها الكثير. حتى الأمنيات المعلقة كانت حتى أمس تمثل لها حبالا متينة تتشبث بها لتتجدد الحياة بهذا البيت الذي قررت أن تتركه الآن بلا رجعة. نظرت إلى الباب الذي شهد دقات يديها بنغمة لا يعرفها إلا هو حتى تجعل من فتح الباب طاقة جديدة لحلو الحياة. نظرت إلى الباب بحيرة وأسى وتساقطت من عينيها دمعات جففتها وحبست سيل الدموع الذي كاد أن ينهار حتى لا يراها الجيران.

تماسكت وعدلت من هندامها وقصدت طريق بيت الأسرة الذي هجره الجميع بعد رحيل الأب والأم سوى أثاث عتيق وهواء مملوء بذكريات الطفولة والصبا والشباب. انقض عليها شريط ذكرياتها مع "هشام" طوال العشرين عاما وكأنه قضبان لآلاف القطارات التي تجري وتتسابق في كل الاتجاهات وهي واقفة حزينة ممسكة بشنطة عمرها على القضبان بلا حراك. شعرت بأن كل القطارات تصدمها وتدوسها وتهرسها حتى تحولت إلى بقايا متناثرة تحت عجلات الزمن الذي تركها تواجه مصيرها الذي قررته في ثورة غضب عارمة منذ دقائق.

لم يتحرك "هشام" من على مقعده، وظل صامتا في حالة ذهول من هول ما رأى منها من ثورة عارمة لم يشهدها منها من قبل. ظل شاخصا إلى الباب الذي صكته بعنف وهي ترحل غاضبة بلا استئذان. هاجت دقات قلبه ضاربة جوانح صدره كالزلزال، وانفجرت مشاعره في جوف قلبه كالبركان.

تعجب كيف لها أن تثور كالرعد والبرق هكذا مرة واحدة دون أن تفكر في عواقب هذا الانفجار. كيف وهو يعشقها ويخلص لها أن تحطم بانفعالها كل الأبواب التي كانت تحفظ وتصون مشاعره لها وحدها. هل هكذا وبكل بساطة تتحول عشرون عاما من الحب والإخلاص والذكريات إلى ثورة غضب عارمة تنتهي بقطع العلاقات بألف سكين ومِقص. هل هكذا تتحول الحياة في دقائق معدودة وبكل بساطة من حب إلى كره. هل هكذا يتحول عشرون عاما إلى بركان ثم رماد.

ظل شاخصا ناحية الباب الذي شهد خروجها ورجوعها بابتساماتها وضحكاتها وهو يجري نحوها كالطفل ليفتح لها الباب بعد لحظات من الدلال. شعر "هشام" وكأن الباب يبكي معه ما حدث، ويبكي معه رحيلها. نهض ودون أن يدري من على مقعده وراح يفتح الباب متمنيا أنها ما زالت هناك وراءه تنتظره أن يفتح لها، ولكنه لم يجد وراء الباب

سوى الهواء الذي ما زال يحمل أنفاسها الغاضبة وروحها الطيبة. عاد بخيبة أمله إلى مقعده وجلس ونظره شاخصا إلى السماء باحثا عن أمل من الآمال التي تركتها معلقة.

هل يتحول الإنسان إلى نقيضه في بضع دقائق. هل يكمن فينا مارد خفي لا نراه إلا إذا غضبنا. هل لا نقدر أبدا على إيقاف هذا المارد المتوحش الذي يسوقنا إلى الهلاك غصبا عنا. مارد لا يرحم بل يتلذذ بنتائج فعلته وهو يرانا كالموتى ونحن أحياء. لماذا يسكننا هذا المارد العربيد، ولماذا ينام بداخلنا في هدوء وسكينة ويستكين حتى يتمكن منا في اللحظة التي لا نتمكن نحن فيها من أنفسنا. تبا لهذا المارد الذي نسميه الغضب، المارد الذي يهدم التاريخ والجغرافيا، ويشوه الماضي والحاضر والآتي.

دارت في عقل "إسراء" كل هذه الأسئلة بعد أن هدأت وجلست على المقعد المفضل لها في منزل أسرتها بعد أن وقعت عينيها على صورة بحجم كبير تجمع بينها وبين هشام والابتسامة تملأ عينيها ووجهها وهو ينظر إليها بعينين لامعتين وإحدى يديه على خصرها ويده الأخرى تلامس يديها. كم تعشق هذه الصورة التي التقطها أبيها في عيد زواجهما العشرين قبل أن يرحل بعام. صورة تنساب منها

الرومانسية العذبة، صورة هي حجاب للحب الفطري الذي جمع هذين القلبين منذ نعومة أظفارهما، حب أولاد الجيران. صورة تبروز جمال الأنوثة وأناقة الرجولة.

نظرت إلى الصورة وهي غير مصدقة لما حدث وما سوف يحدث بعد أن قررت أن تترك البيت بلا رجعة لتنهي تاريخا كانت تتمنى أن تكتب نهايته السعيدة كما تشاء بأنامل قلبها رويدا رويدا مع مرور الزمن حتى ينقضي الأجل. ولكن الزمن لا يتركنا نفعل ما نشاء وقت ما نريد. وضعت وجهها في كفيها وبكت بحرقة على العشرين عاما التي مضت وانتهت بها وحيدة بلا هشام وبلا أطفال، وانتهت بالذكريات.

أغمض عينيه، فهو لا يريد أن يرى حلاوة الأشياء في هذا البيت الذي شهد عشرته معها طوال العشرين عاما الماضية، ثم العشرين دقيقة الأخيرة التي قضت بالضربة القاضية على كل ما كان من حب وعشق وذكريات في كل غرفة وفي كل ركن.

كيف يخبرها بأن سفره كان من أجلها، من أجل أن يعالج عقمه ليفاجئها ويهديها ما كانت تتمناه وتحبسه داخل عينيها. كيف يخبرها بحاله ولماذا كان يبدو غريبا ومختلفا طوال العشرة أعوام الأخيرة وهو تحت تأثير العلاجات المختلفة التي يتعاطاها خُلسة من ورائها. كيف

يفسر لها أنه أراد أن ينزع من القدر فرحة لها إرادتها في حمل جنين يتمناه حتى ولو قضت الأدوية عليه حبة حبة ويوم بعد يوم.

انسالت الدمعات من مقلتيه على عدم صبرها عليه حتى ينهي علاجاته بعد شهر من الآن كما أخبره طبيبه وكما تشير النتائج الإيجابية لينتهي من هذا العناء النفسي والجسدي والرومانسي. ندم أشد الندم أنه لم يخبرها في وقته بكل ما لديه حتى لا تصل حالتها المزاجية إلى هذه اللحظة الفارقة. ولكن كيف يخبرها وهو الذي كان يعول على صبرها وحبها وقوة احتمالها. كيف يخبرها وهو يعول على الحبال المتينة التي تجمعهما سويا منذ عشرين عاما من العشرة الجميلة.

نهض والدموع تتعارك في مقلتيه من على مقعده قاصدا اللا شيء، وملوحا بكلتا يديه في الهواء صائحا: "فلتسقط كل العلاجات، وليسقط الحمل إذا كان الثمن الحب والعشرة والذكريات"

قرر أن يذهب الآن إلى مكتبه ليلقي في القمامة بكل العلاجات التي خبأها عنها هناك، العلاجات التي كانت السبب وراء كل ما حدث.. لعل القدر يعطف عليه.

لملم أشلاء مشاعره وكبريائه وآماله وقصد الشارع يتحسس بعينيه ملامح البنايات المملوءة بذكرياته العشرينية. شعر بنوبات من

الرقة والحنان تخطف قلبه الذي بدأ يدق كدقات طبول المعارك. تعجب من علو دقات قلبه، شعر بحنين يسوقه إلى المكان الذي يعشقه. ودون أن يدري غير وجهته من المكتب إلى الذهاب إلى الكافيه الذي شهد لقاءات العشق معها. مشى ناحية الكافيه وهو في نشوة لا يعرف سببها أو مصدرها، سوى أنه يمشي وراء بَوْصَلَةِ قلبه الذي ما زال يدق دقاته العنيفة.

سالت الدموع على وجنتيها حسرة وحزنا على ضياع رحلة العمر التي ظلت تزرعها بأشواق الحب وتنزع منها أشواك الهموم رغم كثرتها. شعرت بوحدة قاسية وهي تنظر إلى الصورة التي ترى فيها نفسها تحضن السعادة وتغازلها في أحضان ذراعي هشام. ولكنها قررت ألا تضعف أمام شعورها بالوحدة وتمسكت بقرارها الذي اتخذته في الابتعاد عنه لعلها تبدأ حياة جديدة. وهنا قررت أن تلقي بعلب الأدوية التي تخفيها في غرفتها منذ خمسة أعوام على أمل أن تهديه أكبر أمنياته المعلقة بينهما، طفل تعلم تماما كم يشتاق إليه ولكن القدر لم يعترف باشتياقه بعد.

أمسكت الأدوية، آخر أمل كانت تتمناه، وألقتها في سلة القمامة ومعها خمس سنوات من العلاج والصبر والانتظار. بكت بحرقة وهي

تلقي كومة الأدوية ومعها عشرون عاما من الحب والعشق. شعرت بدموعها تنساب على وجنتيها ساخنة وكأن فرنا من المشاعر الحانية تفجر في جوانح عقلها الناعم ويهتك أغشية قلبها الرقيق.

نظرت حولها فشعرت بوحدة قاسية حتى كادت برودة الوحدة أن تحبس الهواء في رئتيها. لم تستطع أن تنتظر بمفردها وحيدة في هذا المنزل وأنفاس الصورة المعلقة تحاصرها وصورة إلقائها للأدوية تقضي على ما تبقى من مشاعرها. وفجأة قررت أن تذهب إلى المكان الشاهد على حبهما لتحتفل فيه وحدها بآخر لحظات عهدها مع هشام. ارتاحت للفكرة كنوع من الاحتفال بالرحيل. لملمت نفسها ومشاعرها المبعثرة وتوجهت بسيارتها نحو الكافيه وكأنها على موعد مع حبيب، حبيب قد احترق.

وما أن وصلت الكافيه حتى جلست على المقعد المفضل لديها. المقعد الذي تعودت أن تجلس عليه قبل أن يأتي هشام وفرحة قلبه تتدحرج أمام عينيه. تعجبت من هروب شعورها بالوحدة الذي كاد أن يخنقها منذ قليل. أدارت وجهها نحو الشارع تلقي نظرة على بناياته العتيقة التي تحمل على جدرانها ذكرياتها معه لتفاجأ بخياله قادما هناك.

تعجبت كيف له أن يأتي في اللحظة التي أتت فيها، وكيف تشعر به في اللحظة التي هربت فيها مشاعر الوحدة.

وقفت وفي يديها الشنطة المملوءة بالأدوية تنظر إلى خياله القادم حتى بدا لها بملامحه الطيبة التي أحبتها منذ عشرين عاما. وما أن اقترب من الكافيه حتى شعر بطيفها ورائحتها المتفردة، شعر بقلبها يدق له وحده. جرى نحوها يلهث بفرحته كالطفل وشنطة الأدوية معلقة على كتفيه.

ودون أن يدري، ألقى شنطته على الأرض، ودون أن تدري ألقت شنطتها المملوءة بأدويتها هي الأخرى على الأرض وتعانقا كعناق أول لقاء جمع بين حبهما منذ عشرين عاما. أمسكت يده ووضعتها على بطنها فشعر وكأنه ولد من جديد. أخبرته أنها تشعر بجنين الحب يسري فيها. حملها بين ذراعيه ليضعها في قلبه ويوصده عليها للأبد وهو يخبرها مع همس أنفاسه قصته مع العلاج، وبأنها طفلته الأولي التي لن يتنازل عنها.

حضر النادل ووجهه يشرق بالسعادة حاملا فنجانين من القهوة فهو يعلم طقوس لقائهما منذ عشرين عاما. ابتسم النادل في دلال وتركهما في عناق لن ينتهي حول جنين كان قد أذن له القدر.



مشاعر لا تعرف السقوط

"عصير الحب لا يعرف مذاقه إلا العاشقون"

هي.. لم تتمالك نفسها من فرحة حبسَتْها بين شفتيها عندما رأته قادما من محطة المترو يمشي وحيدا بملامحه الجادة وابتسامة على شفتيه والتي أصبحت جزءا من ملامحه لا تفارقه أينما حل.

هو.. لم يرها واستمر في مشيته التي عرفتها بل حفظتها عنه كالفارس الذي يبحث عن جواد.. مشى دون أن يعير اهتماما إليها ودون أن يشعر به أحد حوله سواها.

هي.. ترددت أن تلحق به وتلمس كتفيه بأطراف أناملها الرقيقة كما تعودت أن تفعل معه أيام شقاوة الحب الذي كان يجمع عقليهما

قبل قلبيهما. حب رشيق نابض غارت من دقاته زقزقة العصافير، وهمس البلابل، ونسائم الضحى، وعطر الياسمين. حب عشقه حتى اللائمون ولكنه تجمد فجأة بسبب أعاصير هبت عليهما كرياح الخماسين. ورغم أنها هرولت وراءه لتلحق به، إلا أنها تنازلت عن رغبتها الدفينة في لمس أنفاسه قبل كتفيه. هل هو كبرياء الحب أم الخوف من رد الفعل القاسي؟ لا تدري.

هي.. قررت في النهاية ألا تفعل وتوقفت عن اللحاق به وتركته يمشي لا يدري بأحد حواليه. ولكنها تعجبت كيف أنه لم يلحظ رائحة عطر عنقها الذي يعشقه. كيف أنه لم يميز خطوات قدميها التي يغار عليهما من أديم الأرض. كيف لم يتعرف على رحيق أنفاسها التي كتب فيه أشعارا. كيف لم يميز خيال جسدها الذي طالما انحنى عليه يقبله قبل أن يقبلها. ولكنها حمدت الله أنه لم يلحظ العطر وإلا أمطرها بأسئلته التي تتوقعها في مثل هذا الموقف.. لمن كل هذا العطر طالما افترقنا، ولمن هذه الخطوات طالما انتهينا!!! أهناك شخص آخر غيري حتى وإن ابتعدنا!!!

هي.. توقفت برهة وسألت نفسها لماذا أخشى أن يلاحظ عطري وأنا وحدي؟! لماذا أخاف من أسئلته وهو بعيد عني ولم يعرفني؟! لماذا

كل هذا الخوف إلا إذا كنت ما زالت أحبه! هل فعلا ما زلت أحبه كل هذا الحب أم هو التعلق ببقايا الحبيب حتى يحل نسيانه رويدا رويدا؟؟! أنا في حيرة كبرى من أمري.. هل هو الحب الساكن في كل خلية من جسدي أم هو التعود على مشاعر الحب وحنان القلوب الدافئة.

هي.. جلست على أقرب كافيه بمشاعر آيلة للسقوط متعجبة كيف يمر بجانبها ولا يراها! وإن كان قد رآها كيف لا يحاول اللحاق بها وطيفها حول عينيه! وكيف تحاول أن تلحق به ولم تستطع أن تخبره بوجودها! وكيف أنه لم يتعرف على عطرها! وكيف أنها ما زالت تخشى من أسئلته وغيرته! تعجبت كيف يتحول الحب الذي كان شلالا متدفقا إلى ماء بحيرة آسنة ساكنة! كيف تتحول المشاعر من سيمفونية عذبة إلى صخب من الألحان والنغمات التائهة التي تجعل من القلب حارات من العشوائيات.

هي.. وسط كل هذا التعجب لمحته بعيدا يعبر الشارع لا تدري إلى أين هو ذاهب بملامحه الحادة وابتسامته التي بهتت على غير عادتها حتى وإن تملكه الغضب والقلق! هل يفكر فيها الآن كما تفكر فيه؟ هل يبحث عنها بداخله ولا يجدها؟ لماذا هو هناك على الجانب الآخر؟ لماذا هو بعيد ويتباعد؟ هل يعلم أني هنا؟ لماذا أنا هنا وهو هناك؟ هل يريد

أن ينتقم من حبنا ويودع بقايا العشق الكامن فينا. ووسط كل هذه المشاعر فوجئت به يتوقف ويجلس على الكافيه المقابل لها ملوحا براحتيه بالوداع! هنا تأكد لها أنه قرر الرحيل بلا عودة وتساقطت من عينيها زَخَّاتٌ من دمعات.

هي.. ازداد تساقط الدمع من عينيها وأصبحت مقلتاها تفيض بالدموع كالنيل وقت هيجانه وفيضانه. تمنت لو تمطر السماء الآن لتشاركها دموعها أو تغسل همومها وأحزانها. تمنت لو أنها لم تأتِ إلى هنا اليوم صدفة لتراه صدفة وتلحق به عن عمد وتتركه عن عمد ويرحل هو عنها عن عمد.

ظلت الدموع تتساقط من مقلتيها المتعبتين ولكن السماء اليوم صافية والشمس ساطعة ونسائم الصيف العليلة تملأ المكان وتنذر بحالة من الصفاء والهدوء.

تعجبت ما السر وراء كل هذا الصفاء والجمال في هذا الوقت الذي أعلن فيه حبيبها عن الرحيل؟! أهو عناد الطبيعة أم هي طقوس الرحيل؟! تمنت لو يأخذها الآن أحد من يديها ليلقيها في سيارتها لتعود إلى بيتها لتخلع قلبها من صدرها وتلقيه على أرضية غرفتها لتدوسه بأقدامها ونعليها حتى يخرج ما فيه من ألم الرحيل، ولتخلع عقلها عن

رأسها وتعلقه على جدران غرفتها تتخطفه عصافير شرفتها لتنسى ما كان وتتعود على ما سوف يكون.

وكأن القدر استجاب لأمنياتها، اقترب منها خيال شخص.. شعرت بخطوات تعرف ميزان دقاتها، وبأنفاس تعرف درجة حرارتها، وبيد تعرف حنان ملمسها تداعب خصلات شعرها وتمسح عنها دموعها. تعجبت إنها خطواته، وأنفاسه، وهمساته، ولمساته. كيف يكون هنا وهو هناك على الجانب الآخر يلوح لها بالوداع! هل هو خيال أم هي مجرد أحلام يقظة من فوران مشاعر الرحيل والتعلق بالمستحيل.

وقبل أن تستمر في تفسير علامات التعجب وجدته هو نفسه يقف بملامحه الجادة وابتسامته الطيبة التي تملأ الشارع حولها. نهضت متعجبة، هو أنت وأنت هنا فمن يكون هو! عرفتك من همسك دون أن أراك ولم أعرفه وتركته ولم ألمسه. هو ليس أنت وأنت لست هو. فمن يكون هو ولماذا كل هذا الشقاء! إذا كنت أنت حبيبي هنا فمن يكون هناك؟!

هو.. ضمها إلى صدره بحنان وقبل جبينها، أنا هنا حبيبتي أما من هناك على الجانب الآخر فهو خيال، هو توأمي الذي لم تقابليه قبل اليوم. هو أنا ولكن أنفاسه ليست أنا. هو لا يعرف عطرك وأنتِ لا تعرفين

عطري وإن كان على جسده. هو لا يعرف خطواتك وأنا الذي عشقتها. هو لا يعرف رحيق أنفاسك وأنا الذي ارتشفتها. هذا هو الحب والعشق حبيبتي. الملامح هي، والجسد هو، والخطوات هي. وقد تكون الأنفاس هي ولكن طعم ورائحة ونسيم الأنفاس والخطوات والهمسات والبسمات لا يعرفه ولا يدركه سوى العشاق. وأنا هنا عشيقك وحبيبك وأنت عندي كل العشيقات. الحب هو الروح والجسد هو اللذة. أنا كنت هنا لست ببعيد أستنشق عبير عطرك، وأرتشف خطواتك، وأهيم مع همساتك. تركته يمشي أمامك لتشهدي حبي وأشهد حبك. ولم أتمالك عندما شاهدت دموع مقلتيكِ؛ فهي حبر أقلامي التي أكتب بها أشعاري.

لم تتمالك نفسها من البكاء ولكن هذه المرة كان بكاء اللقاء الذي لا ينتهي. عانقته بأنفاس وجنتيها ورحيق شفتيها. وهكذا كانت مخاوف الرحيل أجمل لقاء.



مشاعر لا تعرف المستحيل

"من يعشق لا يترك كأس الحب أبدًا فارغًا"

خرجت من المكتب لا تدري أين هي ذاهبة، فقد اكفهر وجهها وبهتت الحياة عندها دفعة واحدة. تلقت المكالمة التليفونية وبها الخبر غير المتوقع كالصاعقة. هل يعقل أن تنتهي بها الحياة هكذا فتخسر كل شيء في مجرد مكالمة تليفون لا يساوي ثمنها رغيف عيش حاف! ماذا فعلت في دنياها وسنواتها الثلاثين لكي يصدمها القدر مرة تلو مرة هكذا. فهي تعلم أنها تمتلك نية طيبة تجددها كل صباح ومساء. وتمتلك محطة تفاؤل لا تنضب، قوتها ألف حصان. وتمتلك بطارية ثقة

في النفس ذاتية الشحن. وتمتلك ثقة في الله ليس لها حدود. وتعلم أنها لا تدخر جهدا في العمل المخلص ولا في مساعدة الغير.

ماذا بعد ذلك عليها أن تفعل حتى يقف بجانبها القدر ويقدم لها الأخبار السعيدة التي تستحقها بدلا من تلك الصدمة العنيفة التي لكمها اليوم بها بقبضته القوية بدون ذنب اقترفته سوى أنها تمنت أشياء انتظرتها كثيرا بلا تذمر. خرجت من المكتب ومشت في طرقات الشركة لا ترى أحدا والكل عينه عليها في تعجب من حالها المزري المفاجئ.

قادتها قدماها خارج أعتاب الشركة وهي لا تدري. مشت في الشوارع وهي لا تدري إلا بالأفكار التي سيطرت على رأسها حتى احتلتها تماما. مشت بين السيارات وهي لا تدري أين هي حتى كادت عربة مسرعة أن تخطفها من على سطح الأرض. تساءلت في نفسها: "لماذا أنا، لماذا هذا الجفاء من القدر وأنا الذي أعطيته كل ما أملك.. لماذا هذا التنمر وأنا الذي لم أدخر وسعا في تقديم كل التضحيات"

كادت أن تُجن من كثرة وعمق التفكير. أرادت أن تجري في الشارع أو تقفز، أو ترتمي على الأرض لعل حالها يجذب انتباه أحد فيرأف بحالها. ولكنها استمرت هائمة على وجهها الشاحب الباكي وراء خيالها في حر العصاري المشتعل. أخيرا وجدت نفسها تقف أمام النيل باتساعه

ومياهه الهادئة تسري في طريقها اللا نهائي غير عابئة بأحزان وهموم البشر الواقفين هنا وهناك على الشاطئ.

وقفت تنظر إلى صفحة مياه النيل وتمنت لو تستطيع أن تكتب عليها همومها وأحزانها لتذوب في قاعه بلا رجعة. تمنت لو تقلع ملابسها قطعة قطعة وتلقيها في النيل ثم تلقي بجسدها العاري في عمق مياهه لتخرج طفلة صغيرة عارية من كل الهموم وتبدأ حياة أخرى غير التي اختارتها. حياة تختار فيها من جديد أبويها ومدينتها ودينها ودراستها وأصدقاءها وجيرانها وحبيبها وأحلامها. حياة جديدة تكون فيها هي البطلة وليست مجرد ممثل من الدرجة السابعة دائم التمني أن يكون البطل ولكن بلا فائدة.

كل الحبال التي كانت تتعلق بها تقطعت. فاليوم كان الآخير في عملها المؤقت بالشركة وتم الاستغناء عنها في خطاب رسمي استلمته منذ أسبوع. ومنذ أسبوعين تلقت مكالمة من خطيبها المسافر منذ ثلاث سنوات والذي كان لها حبيب ليخبرها بالانفصال من جانبه بعد المعارك التي خاضتها معه. شعرت حينها بفقدان مشاعر الاحتواء والحب الدافئ الذي كانت تتمسح به من حين إلى آخر. وازداد عندها شعور الوحدة الذي كان قد تملكها بعد أن فقدت أبويها في حادثة مروعة قضت

عليهم وعلى السيارة منذ ثلاثة أشهر بعد أن كانت طفلتهم الوحيدة المدللة. ومنذ أن فقدت المكان الذي كان يأويها بعد أن انهارت العمارة بالكامل منذ شهر ونصف بعد أن انفقت عليها كل ما تملكه ودفن فيها ومع أنقاضها الغالي والنفيس.

ما كل هذه الهموم التي أرسلها القدر دفعة واحدة على رأسها وكأنه يعنادها أو يعاقبها على صبرها وتفاؤلها الذي كان. ولم يكتفِ بكل هذه المصائب والأحزان والهموم بل زاد عليها المرض اللعين الذي نال من جمالها ورقتها وعذوبتها وأناقتها. الفيروس اللعين الذي أخذته دون أن تدري وهي تتبرع بدمها لإحدى صديقاتها في لحظة حالكة. الفيروس الذي أخذته هدية عطائها بسبب الإهمال واللا مبالاة. الفيروس الذي غير مزاجها ورونقها وحيويتها وهي تئن من العلاج المكثف بسببه لعله يموت فيها وتشفى منه وتعود لحالها.

ولم يكتفِ القدر بذلك بل زاد عليه جفاء الناس وتقلبهم عليها. فلم يعد القريب يحن ولا الصديق يصدق. تهاوت تحت قدميها كل الكلمات الرنانة والمشاعر الحانية التي كانت تسمعها من القريب والصديق والحبيب. تهاوت عندما حلت الشدائد لتكشف لها عن معادن البشر المزيفة والتي كانت تحسبها ذهبا وفضة وياقوتا وماسا. انكشف

الجميع أمام ضربات القدر. حتى هي نفسها، تعرت اليوم أمام نفسها تحت آخر ضربة من ضربات معول القدر التي هوت على رأسها في المكالمة التليفونية. كادت أن تفقد وعيها عندما أخبرها المحامي في المكالمة برفض قبول الطعن في قضية المعاش من أبويها وكذلك من المسابقة التي كانت قد تقدمت إليها وكانت الأفضل ولكنها لم تقبل بعد أن اختاروا ابنة أحدهم والتي تعرفها كما تعرف نفسها.

وبعد مكالمة اليوم وفقدانها الأمل في آخر ما كانت تصبو إليه وتتمنى تحقيقه ولو بالقانون لعلها تبدأ حياة جديدة، فقدت الشهية للحياة. كرهت القدر، وكرهت نفسها، وكرهت الناس، وكرهت النيل الصافي الذي يجري أمامها غير عابئ. وكرهت ساعة العصاري التي كانت تعشقها وتغني فيها الأحلام والأمنيات العراض. وكرهت وجوه الناس وعليها الأقنعة المبتسمة. وكرهت الطفولة التي كانت مصدر الحنان والرقة في قلبها. كرهت كل شيء ولم تعد تحب سوى اللحظة التي تترك فيها هذه الحياة ولو غصبا عن القضاء والقدر.

وقفت لا تدري من هي ولا أين هي فصرخت في نفسها ألف صرخة وأرادت أن تخرج هذه الصرخات إلى العالم حولها ولكنها لم تستطع.. شعرت وأنها في كابوس متواصل ليست له نهاية.. شعرت وأن قبضة

القدر تمسك بحلقومها وهي تغوص في قاع النيل فلا هي تستطيع الصراخ ولا التنفس. شعرت وكأنها تموت الآن ألف موتة وموتة دون أن يشعر بها أحد. أصابها دوار شديد، وترنحت يمينا وشمالا تحت خناجر مشاعر الحزن التي تمزقها إربا بلا رحمة. انهارت تماما ولم تشعر بنفسها وكادت أن تسقط في مياه النيل العميقة من أعلى الكوبري ولكنها شعرت بيد حانية وقوية تمسكها لتنقذها من السقوط ثم غابت عن الوجود.

بعد ثلاثة أيام طوال من العلاج والقلق عليها أفاقت من الغيبوبة لتجده حولها مبتسما كعادته عندما كانت تقابله صدفة في بهو الشركة دون أن تعير له انتباها يليق بابتسامته الصافية لها واهتمامه الملحوظ نحوها. تعجبت من أتي بها هنا، وماذا حدث لها، ومن جاء به دون غيره هنا. ولكنها سرعان ما تذكرت آخر اللحظات وهي تتهاوى من أعلى الكوبري فوق النيل. تذكرت وجهه الطيب الملامح ويده القوية التي أمسكتها حتى لا تسقط إلى القاع. وقبل أن تتمتم وتحرك لسانها وتشكره، أسرع هو بمسح حبات العرق من على جبينها ويطلب منها ألا تتحدث قبل أن تطيب. وفجأة دخلت الممرضة لتعطيها الدواء وتبارك

لها على إفاقتها وعلى الاهتمام البالغ من زميلها والذي لم يتركها منذ جاء بها إلى المستشفى.

تذكرت كم كان طيبا ورقيقا معها، وكم كان يختلق المواقف ليتحدث إليها ويتقرب منها ولكنها كانت لا تعبأ. كيف لم تعر له انتباها وهو الوحيد الذي لم ينقطع عن السؤال عنها والتودد إليها رغم انقطاع الجميع عنها حتى حبيبها. لماذا لا نرى من يحبنا ويتقرب منا ونتطلع إلى من لا يشعر بنا ويبتعد عنا. تعجبت كيف لم تفهم رسالة القدر قبل الآن.

نظرت إليه نظرة حانية وشكرته بابتسامة عينيها وتمنت لو تستطيع أن تتحدث إليه. ولكنها فوجئت به يخرج لوحة كبيرة مكتوب عليها "أحبك منذ أن عرفتك، ويا ليتك تحبينني كما أحببتك". وكأن ماء الحياة تدفق دفعة واحدة إلى قلبها وعقلها ولسانها، فوجئ بها تسأله: "وكيف عرفت أني هناك وأكاد أن أسقط في مياه النيل العميق"

رد والفرحة تنساب من وجنتيه: "من يحب لا يترك حبيبه، وأنا قد أحببتك كما أراد الحب لي وكما أراد القدر"

قالت له وعلى استحياء: "ولكن.."

رد وكله فرحة: "أعلم كل شيء، ولدي كل شيء"

كتمت فرحة ملأت قلبها وجوانحها، وشكرت القدر الذي أضاع عليها وعلى دفعات كل ما كانت تنتظره ولكنه أعطاها في دفعة واحدة الحياة التي لم تكن تنتظرها.

مدت يدها إليه لتسعد بالأمان بين يديه ليفاجئها بقبلة على راحتيها لتروح في غيبوبة أخرى، ولكنها غيبوبة من الحب الجديد.



حنين وأشواق

"حنين القلوب المشتاقة أبدًا لا ينضب ويظل نابضًا للحبيب مدى الحياة"

اشتاقت إليه كثيرا وتمنت لو تراه الآن رغم أنها تعلم أنه خارج حدود المدينة كما أخبرها وكما عودت نفسها ودربتها أن تصدقه. تعجبت من قلبها، كيف تحبه كل هذا الحب وتكرهه الآن كل هذا الكره. هل يستطيع القلب حقا أن يحب ويكره الحبيب لدرجة الجنون. هل أحب قلبها قلبه وخاصم عقلها عقله أم هو قلبها الذي تعود أن ينافق عقلها فأصبحت أسيرة في شباك حبه.

نظرت في الساعة التي اقتربت من الخامسة ولم يأت بعد رغم أنه أخبرها أن ميعاد وصول القطار الساعة الثالثة. استشاطت غضبًا وعلت نبضات كرهها لإهماله وكذبه عليها بكلماته المعسولة كل مرة تواجهه بظنونها. وفجأة هدأت نبضات الغضب وعلت دقات حبها واشتياقها له حتى تلوى قلبها يمنة ويسارا في صدرها من شدة ضربات الاشتياق.

تركت نفسها تتمايل بين خيال أحضانه التي تعشق أن تلقي برأسها فيها كالطفلة المدللة كلما فتح ذراعيه لها في حنان. وفجأة تذكرت تأخره عن ميعاد وصوله أكثر من ساعتين رغم أنها على شوق للاحتفال سويا هذا المساء بمرور خمس سنوات على زواجهما. لم تتحمل كل هذا التأخير ولم تتحمل صبر الانتظار ودوامة الشكوك التي تسيطر على عقلها كلما غاب خاصة بعد أن أخبرتها صديقتها أنها رأته أكثر من مرة مع سيدة أخرى..

علا صوت الخيانة في ضربات قلبها وعلا صوت الخوف من فقدانه في دقات عقلها. احتارت بين ضربات القلب ودقات العقل فتساقطت دمعات بللت وجنتيها التي بكت معها بلا ذنب. قررت أن تترك المكان لتبحث عنه في كل مكان يتردد عليه. ركبت السيارة البيضاء التي كانت هديتها منه في عيد زواجهما العام الماضي فتذكرت عينيه الجميلتين وهو

يفتح يديها برفق ليقبلها بشفتيه وهو يضع مفتاح السيارة بقبلة ونظرة حانية من عينيه. تعجبت كيف يكون جميلًا هكذا وكيف أحبه كل هذا الحب وكيف يكون هناك مع فتاة أخرى وكيف له أن ينسى موعد الاحتفال وعيد الزواج. امتلأ عقلها بألف كيف وكيف وهي تقود السيارة بجنون تبحث عنه في كل مكان حتى كادت أن تصطدم بسيارة أخرى بيضاء بلون سيارتها فانتبهت على الفور خوفا على جرح هديته البيضاء.

وفجأة لمحته من الخلف وهو يخطو خطواته السريعة وبجواره فتاة إلى داخل أحد المحلات. امتلأت غضبًا حتى تناثرت ضربات ودقات قلبها تحت عجلات السيارة وتحت أقدام المارة. وهنا تأكدت لها ظنونها التي طالما شكت من صدق صديقتها. وقفت بالسيارة على جانب الطريق لتراقب حبيبها الذي يرافق سيدة أخرى أمام عينيها ويوم عيد زاوجهما. ولما رأته يخرج من هذا المحل الراقي الذي تعرفه جيدا لملمت مشاعرها المبعثرة ومسحت دمعاتها وقررت أن تواجهه علنا هذه المرة. ولما همت بالخروج من السيارة لم تستطع وتراجعت عن المواجهه وعادت إلى السيارة وانطلقت لا تعرف إلى أين وجهتها.

وما أن خرج من المحل حتى لمح سيارتها البيضاء بلون قلبها، جرى وراءها ليلحق بها ولكنها كانت مسرعة كبرق الصيف. نظر إلى الفتاة

الشقراء التي ترافقه وشعر بحرج شديد وحزن أشد ولم يدرِ ماذا هو بفاعل. قرر أن يعود وعلى الفور إلى المنزل ليسأل لماذا كانت هنا الآن في هذا الوقت وهذا المكان بالتحديد. ولما عاد إلى المنزل ولم يجدها، علت ضربات قلبه خوفا عليها وتمنى أن تأتي الآن ليطمئن عليها ولتفعل ما تفعله، المهم أن تأتي الآن ليرى عينيها ويقبل يديها ووجنتيها. نظر على طاولة الاحتفال التي أعدتها بعناية ولم يُفاجأ بلمسات يديها الرقيقتين في الترتيبات التي أعدتها على طاولة الاحتفال من ورد وشموع ولقطات من الذكريات فدائما لمساتها رقيقة. ابتسم في نفسه وتمنى أن تدخل عليه الآن ليعترف لها مرارا وتكرارا كم هي جميلة وكم هي رقيقة وكم هي أجمل النساء.

وهو عالق في تمنياته سمع همس أناملها وهي تفتح الباب. وقف وراء الباب فاتحا لها ذراعيه بكل ود وطيبة وحب وحنان لتلقي بنفسها في صدره كما تحب دائما أن تفعل وما يعشق هو دائما أن يشعر بدفء أنفاسها. وما أن فتحت الباب حتى فوجئ بالدمعات تنساب على وجنتيها الرقيقتين. أخذها بين ذراعية فتركت نفسها ترتمي على صدره وليكن آخر لقاء بين ذراعيه وصدرها.

"كل سنة وأنت طيبة حبيبة قلبي" ولكنها لم ترد. قبلها على جبينها ولكنها لم ترد، قبلها على شفتيها ولكنها لم ترد. أزاح خصلات شعرها من على عينيها لتلامس أنامله جبينها، ولكنها لم ترد. قبل رأسها فلم ترد. وهنا تأكد له أن شيئا ما قد حدث وأن في صدرها بركانا يريد أن ينفجر. لم يدر ماذا يفعل وهي لا تريد منه أن يفعل.

تأزم الموقف فهي بين ذراعيه ولكنها غائبة عنه. أخذها من يديها إلى منضدة الاحتفال وما زالت تغلق عينيها على حزنها. أراح رأسها على صدره حتى تهدأ وتفيق. ودون أن تشعر فتح العلبة التي بين يديه ليخرج العقد الأبيض الذي طالما حلُمت به ليزين عنقها الجميل.

شعرت بشيء ما حول عنقها وشعرت بشذى العطر الذي تعشقه دائما منه. أفاقت من غيبوبة الحزن التي خدرت مشاعرها على العقد حول عنقها والعطر على كفيها والإحساس بدفء قبلة تعشق مذاقها على خديها.

نظر إلى عينيها الدامعتين في حب ودلال وحنان وهو يتحسس وجنتيها بأنامله وهي تغازل نجوم الحسن في سماء ملامحها. مسح بطرف أنامله عن عينيها تلك الدمعات ممسكا بمنديله المعطر بشذى

ذكري أول لقاء بينهما منذ خمس سنوات. المنديل الذي يحتفظ به في صندوق ذكريات حبهما وكأنه تعويذة يستنشقها معها كل عيد زواج.

أفاقت على دقات قلبها وضربات عقلها وهي تترنح بين معول ضربات العقل وحنان دقات القلب وكأنها تفيق من سكرة كأس شربته حتى الثمالة. حدقت في أعماق عينيه هامسة بين فرحة بوجوده تخفيها ولوعة غضب وحزن من غيابه تبديها "أين كنت؟"

همس في أذنيها "كنت هناك حبيبتي في نفس المكان الذي كنا فيه منذ خمس سنوات لأشتري لك هذا العقد وهذا العطر في عيد زواجنا"

وما زالت عيناها تضرب نظرات عينيه.. همست ثانية: "ولماذا كنت هناك؟ وهل رأيتني؟"

أومأ بعينيه: "نعم حبيبتي وهرولت وراءك كالطفل الصغير ولكنك كنتِ مسرعة جدا كدقات قلبك الثائرة الآن"

ردت بغضب تكتمه: "ومن هي تلك الفتاة الشقراء التي كانت معك هناك؟"

وشفتاه بين ابتسامة وضحكة وأنامله تداعب شفتيها النابضتين بلغة عتاب يعرفها "حبيبتي، هي نفس الطفلة التي كان عمرها خمسة عشر عاما عند لقائنا الأول والتي كانت سببا في تعارفنا"

أراحت شفتيها بين أطراف أنامله ورأسها على واحة صدره النابض بالحنان وألقت نظرة يسكنها دلال وشوق: "ولماذا كانت معك حبيبي؟"

همس في أذنيها وهو يداعب عنقها بأنامله: "كانت معي لكي تختار عقدك الذي تأخر ساعتين كاملتين عن ميعاد وصوله. وهي التي كانت تتابع وصوله من أجلك. ولكن لماذا كنتِ أنتِ هناك حبيبتي؟"

قالت له وهي تقبل أنامله براحتيها: "كنت أبحث عنك كالمجنونة في كل مكان"

رد بعفوية "ولماذا تبحثين عني وأنا قادم إليك؟!"

... "لأنك أوحشتني واشتقت إليك فلم أستطع أصبر حتى تأتي إلى"

... "وها أنا أتيت إليك وبين يديك سيدتي"

... "وها أنا كلي بين ذراعيك وفي أحضانك سيدي"

... وهو يداعب خصلات شعرها الثائر: "وهل كنت تشكين في حبي سيدتي؟"

... "كيف أشك فيك وأنت مني ولكنه الشوق سيدي"

... "ولكني أشك فيك كل الشك "

وهي ما زالت حالمة في ذكريات اللقاء الأول: "قلبي لا يصدقك حبيبي ولكن هل تشك فيّ حقا"

أمسك بيديها ونهضا ليقفا أمام طاولة الاحتفال ليحدثها وعيناه تسبح في عينيها "نعم أشك فيك سيدتي"

"نعم أشك فيك سيدتي
نعم أشك في قلبك
فهو ليس كقلوب كل النساء
قلب ليس من أربعة حجرات
قلب سكنته سبع سماوات
فكلما سمعت دقات قلبك
أشك في نفسي لأتأكد أني
ما زلت على قيد الحياة
نعم أشك فيكِ سيدتي
أشك في عينيكِ
فهي ليست كعيون كل النساء
هي شواطئ بحور الحب والعشق
هي النيل العذب وخجل الفرات
هي منبع الكوثر يروي الجنات

نعم أشك فيكِ سيدتي

فوجنتيك سماء لكل النجمات

نعم أشك فيكِ سيدتي

فالشك في اكتمال الحسن

يقين وتاج لعرش المليكات"

تعلقت بعينيه وغاصت برأسها في صدره هامسة: "ما أجمل الشك من شفتيك". تساقطت دمعات ساخنة على وجنتيها ولكن هذه المرة من وقع كلماته التي ألهبت قلبها وفاجأت نبضاته المرهفة وأضاءته بكل مشاعر الحب التي خجلت أمامها دمعاتها. علت نبضات الحب في قلبها البريء وتعافت من ضربات عقلها الشقي وكأنها لم تغضب منه أو تشك فيه أبدًا.. ألقت كلها في أحضانه وعادت تسكن بين أضلعه طفلته المدللة.

طبع قبلة الحب على شفتيها وهما يطفئان الخمس شمعات ويوقدا شعلة الحب في عيد حبهما العشرين...



حلم آخر لحظة

"ليس هناك أشد من وحدة تَخَلَّى فيها عنك الأحبة وتَخَلَّى عنك فيها حتى حُلمك"

تحولت عيناه إلى نهر من الدموع الساخنة وهو لا يدري من أين تأتي أمواج الدمع هذه التي لا تتوقف. أغمض عينيه المتعبتين لعل شلال الدموع يتوقف ويرحم مقلتيه. تعجب كيف للإنسان أن يغمض عينيه عن العالم حتى لا يرى شيئا إلا ظلمة تنسيه أحزانه فيفاجأ بأن بداخله عالما مرئيا أكبر اتساعا وأكثر صخبا من العالم الخارجي حواليه.

فإذا كان يستطيع الهرب من العالم الخارجي الذي يؤرق عينيه، فكيف له أن يهرب من هذا العالم الذي يكمن بداخله مؤرقا قلبه قبل

عقله. عصرت قلبَه الهمومُ ومزقته إربا إربا وشعر بالغربة الموحشة في هذا العالم وبالوحدة المتوحشة داخل جوانحه. تمنى أن يغادر هذا المكان والزمان وللأبد، ولكنه ما زال يحلم بفرصة بحياة حلوة قد تكون تائهة منه هنا أو هناك.

وفي وسط هذا الصراع بينه وبين العالم الداخلي والخارجي، وفي ظلمة المكان حواليه شعر وأن قنوات الدمع بمقلتيه قد هدأت وأوقفت أبوابها. تدفق إلى دمه زخات من هرمون النوم الميلاتونين وكأنه المورفين قبل عملية جراحية كبري. لم تمضِ دقائق حتى غاص في نوبة نوم كان يتمناها منذ أسابيع طوال، كان السهاد فيها هو نصيبه حتى الصباح.

عاش في نومه أحلام الطفولة والصبا والشباب التي كان قد أوشك أن ينساها إلى الأبد تحت تأثير ضربات معاول الكهولة من كل صوب ونحو. شعر وكأنه وُلد من جديد. أمه تنظر إليه بحنان وتضمه إلى صدرها الطيب المتسع للعالم كله. تداعب خصلات شعره الخشنة كما كانت تفعل وهو غض صغير فتجعل منه أميرا بل ملكا على عرش بيتها. يرتمي في حضنها فلا يرى إلا عينيها المبتسمتين ولا يسمع إلا دقات قلبها الحنون فيغفو على حجرها كالرضيع.

يصحو من غفوته حينما يسمع صوت والده. يقف يهش ويبتسم لوالده، هذا الرجل الذي يمثل له عضلات العالم أجمع حتى وهو منهك القُوَى. ينظر إليه فخورا وهو عائدٌ من عمله في يوم حار مُسرع الخُطى والعرق يتصبب من جبينه قاصدا صحن الدار ليستريح وتحت إبطيه ما طاب ولذ من فاكهة طازجة تسيل اللعاب. يحمل عن أبوه حُلو اليوم ويجري نحو أختيه وهما يسابقان الزمن مع أمه في تحضير وجبة الغذاء للأب العائد وأسرته. يجري بينهم ليستمتع بشم رائحة الطعام الساخن ولا يهدأ حتى يخطف بعض لقيمات قبل أن يلتف الجميع حول المائدة المباركة.

وهكذا وجد نفسه في حلم رائع وسط جو من المرح والسعادة العائلية التي حُرم منها منذ وفاة والديه وهجرة شقيقتيه مع زوجيهما منذ سنوات طوال. الغريب أنه أدرك أنه يحلم وأنه بعيد عن واقع دنياه مع أنه ما زال نائما في سريره وكأنه حلم اليقظة. وكلما حلت عليه نوبة الصحيان من حُلمه، ابتسمت له أمه ولوح له أبوه وتمنيا أن يبقى معهما ولا يرحل. تعجب كيف يكون هذا، كيف تتصارع اليقظة مع أحداث الأحلام. ورغم كرهه لواقعه المؤلم، إلا أنه أراد أن يفيق ليستشعر حلاوة الحلم ويستبشر بأحداثه السعيدة.



وقبل أن يفيق من حُلمه ليعود إلى واقعه وإلى فرصة أخرى في الحياة قد يجد فيها طاقة نور في هذا النفق المظلم، بكى الزمن وبكى المكان وبكى الوحدة وبكى الحاضر وبكى المستقبل الذي لا يعرف له عنوانا سوى أنه ينتظر مزيدا من أيام تُشرق في وحدة وتَنسى وتنام في وحدة. تاه بين الحلم وبين اليقظة وتحير أيبقي في حلم قد لا ينتهي أم واقع قد ينتهي. وقبل أن يقرر شعر بيد بعرض السماء تحمله إلى عالم لا ينتهي. ابتسم في نفسه وترك عينيه مغمضتين عن العالم الخارجي ومعلقتين في عالمه الداخلي على ابتسامة والديه في راحة إلى الأبد.



حكاية ألم

"نام نومة العروس ودموعه قد أذابت آلامه قبل ذنوبه"

اشتد المرض عليه فضعفت قواه وارتخى صوته وأصبح النوم المصحوب بالألم هو صديقه الذي لا يراه إلا هو. ومع أنه طبيب ويمارس الطب منذ عشر سنوات، ورغم مهارته المشهور بها في تخصص المخ والأعصاب، إلا أنه عكف في أوقات اليقظة التي تمر عليه بلا ألم على قراءة كل ما هو معروف وجديد عن هذا المرض اللعين الذي أصاب خلايا مخه وعشش فيها وانتشر بلا رحمة. وكلما قرأ عن محاولة جديدة للعلاج تحول إلى شخص آخر، تحول من مريض إلى ملاكم

ومصارع للمرض يتمنى أن ينازله في حلبة الصراع ليجهض عليه ولكن سرعان ما تغلبه موجات الألم فينام هو ويصحو الألم.

وفي هذا المساء وبالتحديد بعد أن زارته زوجته وأولاده وقضوا معه وقتا ممزوجا بالمرح تارة والحزن تارة أخرى، شعر "ولاء" بأن نهايته الإكلينيكية قد حانت مع أن اللقاء مع أسرته انتهى بنوبة ضحك على بعض من ذكريات الماضي القريب الذي كان مملوءًا بالحيوية والصحة والنكات. لم يدرِ لماذا شعر بنهايته الإكلينيكية ولكنه توقعها في أقرب وقت وكأن نوبة الضحك هزت خلايا مخه هزا فهاجت فيها وارتفعت موجة التنبؤات فوق التمنيات. وكانت كل التنبؤات تقول إن النهاية قادمة لا شك فيها ولكنه الأمل الذي يتعلق به المريض حتى آخر لحظة يشعر فيها بأنفاسه حتى ولو كان هذا المريض طبيبا ماهرا.

وقبل أن يستسلم "ولاء" لنوبة التنبؤات، دلف إلى غرفته طبيبه المعالج بردائه الأبيض وياقته الزرقاء والسماعة معلقة على كتفيه والممرضة بجانبه والابتسامة المصطنعة على شفتيه محاولا أن يكون كريما في هيئته.

"أراك أفضل كثيرا هذا الصباح يا صديقي، أرى الأمل والتفاؤل يجريان في عينيك، فهلا أعطيتني منهما شيئا على سبيل الإهداء". قالها

الطبيب المعالج محاولا أن يخلق مساحة من التفاؤل وهو يقرأ بعينيه نتائج التحاليل والتي تشير جميعها إلى تقدم حالة "ولاء" الطبية من سوء إلى أسوأ.

أنهى الطبيب قراءة التقرير بسرعة ثم ألقى مزيدا من كلمات التفاؤل وكأنه يقرأ قصيدة رومانسية لحبيبة قلبه. ابتسم "ولاء" في سخرية لم يشعر بها إلا شفتاه الذابلتان، واصطنع ضحكة يجامل بها صديقه الطبيب. خرج الطبيب بعد أن جاءه نداء من مايكروفون المستشفى يستدعيه لحالة تصارع الموت. خرج مسرعا بعد أن ربت على كتفي "ولاء" ونسى نتائج التحاليل على الكوميدينو بنهاية الغرفة.

فور أن خرج صديقه، طلب "ولاء" بإيماءة من رأسه فهمت الممرضة منها أنه يريد أن تقرأ له التقرير الطبي الذي تركه الطبيب يقص حالته. شعرت الممرضة بحرج شديد فهو لا يعلم حتى الآن تدهور حالته بالرغم من شكه في التقرير المطمئن من صديقه الطبيب.

ابتسمت له معلنة عن الموافقة ولكن فلينتظر دقائق بعد أن تمر على مريض مجاور قبل أن تتفرغ له ولمناوشاته. شعر بأنها تتهرب منه حتى تأتي بتقرير آخر كالعادة لتقرأه عليه بعد أن تكون ألمت به غفوة جراء العلاج.

ابتسم لها بعينيه مداعبا عينيها وكأنه يريد أن يقول لها: ولكنك نسيت هذه المرة ممرضتي أنني لن أغفوَ وسأظل مستيقظا حتى تأتي وتخبريني بحقيقة حالي التي تبدو لي بينة وبدون تقرير طبيب.

"ولاء" بالطبع يقرأ حاله ولكنها النفس التي دائما تبحث عن خيال يخلصها من الواقع المؤلم.

لم يستطع "ولاء" الانتظار حتى تعود الممرضة بتقريرها المزيف ويفاجئها ولكنه يعلم أيضا أنه لا يستطيع الوصول إلى التقرير بنفسه. حاول أن يأخذ نفسا عميقا ليحرك قواه الداخلية ولكنه لم يقوَ. حاول أن يحرك يديه رويدا رويدا من حافة السرير لعلها تصل إلى الكوميدينو ولكنه لم يفلح.

حاول أن يحرك السرير ناحية الكوميدينو بضاغط التحكم تحت رأسه ولكنه لم يفلح. حاول أن يصرخ ليأتي أحد ولكنه لم يقدر. حاول وحاول كل الحيل ليمسك بالتقرير ولكن المسافة إليه كانت حُلما كبيرا وهو وحيد بين أركان الغرفة الممتلئة برائحة المرض والوهن رغم ألوانها الرائعة وأثاثها المتناسق الجميل.

الشيء الوحيد الذي استجاب لولاء وقدر عليه هو البكاء من عينيه المتعبتين. فوجئ "ولاء" بزَخات من الدموع الباردة تتساقط على وجنتيه

ولا يستطيع حتى أن يمسحها ولكنه استمتع بتلك الدموع التي هي قطعة منه سقطت لتواسيه. تعجب كيف يكون بهذا الوهن وهم يطمئنونه بأنه سوف يكون بخير. ولكنها الكلمات التي لها فعل السحر حتى ولو كنا نعلم أنها كاذبة.

ومع كل دمعة تسقط على وجنتيه تذكر مرحلة الطفولة وكيف كان أكثر الأطفال سعادة ولهوا ومرحا وتدليلا، وتذكر مرحلة الصبا وكيف كان هذا الولد الشقي الوسيم الذي تُفتح له كل الأبواب المغلقة، وتُلبى له كل الطلبات بفضل ذكائه ومرحه وتدليل والده المسئول الكبير. ومع دمعة أخرى تذكر شبابه الذي انقض عليه المرض بلا سابق إنذار. انقض عليه يمزقه ويلقيه أرضا وهو الفارس الذي كان لا يُشق له غبار. تذكر معاركه مع خصومه وجولات انتصاراته وبطولاته وشهرته التي كانت مِلْء السمع والبصر. ومع كل دمعة تعجب كيف يذهب كل ذلك مرة واحدة هكذا وقد كان يظن أنه خُلق للبطولات.

تعجب كيف وبهذه البساطة يرقد في غرفة خالية يأتي إليها الجميع للزيارة ثم يتركونه وحيدا يصارع المرض على سرير لا يهتم، وبين جدران ملونة لا تسمع ولا ترى ولا تشعر بأنين شكواه. تعجب كيف يتركه من كان يظن أنه قبلتهم ومسجدهم وملهاهم. كيف يهون على زوجته

وعلى أولاده وأصدقائه وأهله وجيرانه. كيف يحوله المرض إلى مجرد شيء يتنفس الألم على سرير لا يعترف إلا بتغيير الملايات.

ومع سقوط الدمعات وصلت ذكرياته دون أن يدري إلى لحظات كان لا يقصدها ولكنه كان يحبها عندما كانت تقصده. لحظات كان يناول ظرفا به مال لكل من قيل له إنه محتاج. ولحظة كان يخرج كل ما في جيبه طواعية لإمام المسجد عندما كان يدنو إليه بابتسامته الودودة عقب صلاة الجمعة والتي كان يحرص عليها بانتظام. اللحظة التي كان يمسح فيها على رأس طفل يتيم في زيارته كل شهر ليتبرع لملجأ الأيتام. ولحظة كان يرتمي فيها على حجر أمه أو صدر والده يشعر فيها بطفولته التي جفت وصباه الذي تناساه. ولحظة كان يخلو فيها إلى نفسه يعريها من كل ما امتلك من متع الحياة فيغسلها بدموع التوبة والاستغفار.

تعجب وتعجب مع كل دمعة تسقط على وجنتيه حتى تمنى أن تغرقه الدمعات ولكنه حمد الله أنه ما زال لديه شيء يطاوعه ويقدر عليه، شيء اسمه الدموع التي تحمل في مائها جزيئات ذكريات الأمس البعيد والقريب. وفي وسط هذا التعجب شعر بطاقة إيجابية هائلة تملأ جوفه، طاقة جعلته يشعر بكل خلية في جسده ولكنها طاقة كامنة

لا تبرح خلاياه وروحه. حاول أن يتحرك، أن ينهض أن يصرخ ولكنه لم يستطع. تعجب كيف يكون ممتلئا بتلك الطاقة والنور ولا يستطيع أن يستخدمها. ازداد تعجبه وازداد تساقط دمعاته على وجنتيه حتى تملكته غفوة نوم لم يستطع أن يقاوم لذتها.

دخلت عليه الممرضة مبتسمة وهي تحمل التقرير المزيف بعد أن تركته حتى يهدأ وينام وتبدل التقارير كما يوصيها دائما طبيبه وصديقه. تعجبت الممرضة وهي تلقي نظرة على وجهه الذي بدا كالبدر ووجنتيه اللتان تبدوان كوقت العصاري الجميل، وعينيه اللتان تبدوان كالبئر المملوء بالمياه من بعد جفاف، وجسده الذي يشع حرارة من فرط الحياة. تعجبت كيف حدث ذلك في دقائق، كيف يكون هكذا وينام، هل حل عليه شيء من السماء. تعجبت من هيئته الطيبة الحالمة المتوردة، ولم تشأ أن توقظه وخرجت بهدوء حاملة معها تعجبها فوق جبينها ليقرأه كل من يقابلها في طرقات المستشفى وكأن معجزة هبطت على مريضها الذي ينام بلا حراك.

نام نومة العروس ودموعه قد أذابت آلامه قبل ذنوبه. نام وهو يتمنى أن يعود به الزمن إلى الوراء ألف مرة ليعاود ذكرياته التي أسالت دموعه ألف مرة ومرة. نام قرير العين على أمل يقظة كبري تعيد له الحياة



فتتحول كل خلية في جسده العليل إلى ألف نفس ونفس قوية. نام بعد أن رأى في حبات دموعه كيف يولد الإنسان ألف مرة وكيف أن السر في طب الدموع يفوق كل سر كل داء وأسرار كل دواء.



نبتة مشاعر

"وقد يمرض الحب ولكنه يتعافى مع أول مِلعقة من حب"

هو فعل كل شيء حتى ينال رضاها ويمنع جدران البيت ألا تنهار وهي ما زالت بكامل عنفوانها ولا تريد إلا طلاءً يزيدها بهاءً على بهائها. ومن كثرة وتَكرار ما فعل تحولت أفعاله مجرد عادة تتكرر كل يوم أو أسبوع أو شهر بلا تَرحاب وبلا أدنى تعقيب.

شعر بغصة في قلبه تجعله يندم على ما فعل وبأزيز في عقله يدفعه بأن يتوقف عما يفعل. ولكنه أيضا وغصبا عن قلبه وعناد عقله استمر في فعل كل شيء من أجل أن يحافظ على جدران هذا البيت الغالي من

الخدوش تارة ومن الانهيار تارة أخرى حتى كادت قواه النفسية والعقلية والجسدية أن تنهار بدلا من انهيار الجدران.

وهي فعلت كل شيء في وسعها بقصد أو بدون قصد لتهز أركان البيت وتخدش الجدران من وقت إلى آخر لأسباب هو يجهلها تماما ولم تبح بها يوما وظلت حبيسة في أدراج ذاكرتها هي ولكنها تخرجها على هيئة عناد وحفر بأناملها على جدران البيت كلما أتيحت لها القوة والفرصة.

واستمرت على هذا المنوال تارة جهرة وتارة خفية حتى تشوهت جدران المشاعر والروابط الزوجية من كثرة الخدوش. فعلت كل شيء بهدوء تحسد عليه تتبعها مرة بابتسامة لا يعرف مغزاها ومرة ببكاء لا يعرف أسبابه حتى تحولت طلتها ويقظتها ومنامها إلى مسلسل من الابتسامات بلا شفاه وبكاء دموعه قطراتها من الاكتئاب.

ومن كثرة ما فعلت أصبحت الحياة بهذا المنوال عادة يومية طوال الأسبوع وطوال الشهر وكأن الحياة يجب أن تكون على هذا الحال. وفعلت كل شيء لتحافظ على هذا الحال حتى كادت قواها الفكرية والعصبية والجسدية أن تنهار بديلا عن جدران البيت العتيق.

هو تعجب كيف تتغير أحوالها هكذا إلى النقيض بعد عشر سنوات من حياة زوجية كان يظن أنها يُضرب بها المثل بين الأصدقاء. كيف تتحول حالة الحب والانسجام إلى حالة من التمرد والعناد. حاول أن يبحث عن أسباب كبيرة قد تكون وراء هذا التحول ولكنه لم يستطع أن يصل إلى شيء بل وجد شريط العشر سنوات يمر أمام عينيه بلا منغصات كبرى اللهم من بعض المناوشات التي قد تحدث في أي بيت فيه زوجان وفيه طفلان توأم في عمر الزهور.

حاول أن يُقنع نفسه بأن ما يحدث منها ما هي إلا حالة تمرد وعناد سوف تنتهي وإن طالت. أغمض عينيه في الحجرة التي تعود أن يبيت فيها بمفرده بعد أن توافقا على أن يفترقا بالليل عندما تهجع الأجساد للراحة في الفراش وتبقى القلوب والعقول متقلبة حتى الصباح. نظر إلى سقف الغرفة الذي يبدو أكثر جمالا من سقف حياته، ونظر إلى جدران غرفته التي تبدو أكثر بهاءً من جدران مشاعره التي بهتت ألوانها وذرفت من عينيه دمعة على ما أصابه وهو ما لم يكن يتوقعه أو يتمناه.

هي تعجبت كيف لم يفهم أني تغيرت، وكم أنني صبرت، كيف لم يفهم أبدا أن كلانا لا يصلح للآخر. كيف لم يشعر بأني تغيرت ببطء حتى صرت على ما أنا عليه بفعل تصرفاته التي كنت أتحملها وأصبر عليها دون

أن يعلم حتى طفح الكيل وهو لا يدري. أتعجب كيف لم ير الصمت في عيوني والغصة في قلبي والحزن في صمتي كل السنوات الماضية. أتعجب لماذا كان يصر دائما أن يصلح من العلاقة بيننا وهو يرى كل هذه التغيرات.

هل كان ولا بد أن أصرح بما في داخلي وأصرخ في وجهه بأن يكف عن محاولاته لأني ازداد نفورا في حزني وصمتي. هل كان على أن أعترف له صراحة أني لا أصلح لشخص مثله يمرح فيه ألف رجل ورجل، رجل مملوء بالعناد وثورة الرجال وشدة الآباء وغيرة الأخوة ورغبات الزوج في كل اتجاه.

هل كان لا بد أن أقر له وأعترف له أني لست الأنثى التي يبحث عنها فيّ منذ عشر سنوات بلا فائدة. لم تستطع النوم كالعادة طوال الليل من كثرة التفكير الذي ترك هالات سوداء حول عينيها تكشف للناس في الصباح كم كان لديها المساء. ولكنها كانت دائما حريصة على أن تداري هذه الهالات بمساحيق التجميل الذي كان يغضب منها ويتساءل لمن كل هذا التجميل في الصباح ونحن على كل هذا الفراق في المساء.

ولكنها بكبريائها لم تبح أبدا بالسبب وهو لم يفهم أبدا كرجل الأسباب وراء هذا التجميل كل صباح بل كان يزداد حنقا وغضبا وغيرة.

احتضنت دميتها المفضلة وأسندت ظهرها على سريرها في غرفتها التي اختارت أن تكون سجنها المسائي ونظرت إلى سقف وجدران الحجرة تتمنى لو كانا قادرين على نقل المشاعر والبوح بها بدلا منها لعله يسمع ويعقل ويفارق. ولكن الجدران لا تفهم لغة المشاعر.

هو ومع أن اليوم إجازة الأسرة من العمل والمدارس إلا أنه وكعادته استيقظ مبكرا وأعد الإفطار المعتاد كل جمعة ليفاجئ به توأميه عندما يستيقظ. أعد كوبا من الشاي بالنعناع ليهدأ باله ومعه نوتته الصغيرة التي يدون فيها أفكاره وجلس على كرسيه المفضل في الشرفة يستمتع بأشعة الشمس البرونزية. استمع إلى صوت المارة كمسرحية يشاهدها للمرة الألف ولكن باستمتاع يزرع في قلبه ألف شجرة من أشجار الأمل.

ولم يمر وقت طويل حتى سمع صوت توأميه في بهو الصالة يعلو بالمرح باستقبال يوم إجازة ينتظرانه على أحر من الجمر. ورغم كل ما حدث ويحدث بينه وبين زوجته إلا أنه كان حريصا دائما ألا يشعر توأميه بأي خلاف. أمسك النوتة ليدون أحداث اليوم لتضاف إلى قائمة ذكرياته والتي يشعر بسعادة غامرة عندما يقرأها بعد أن تصبح مجرد تواريخ وإن كان يتحسر على بعضها بعد أن أصبحت في زمن مضى لا يستطيع أن

يلمسه بيديه. بعدما أنهي كتابة أحداث الأمس بينه وبين زوجته والمشاعر المتناقضة بينهما، بدأ يقلب في صفحات الماضي كعادته فإذ به يفاجأ في صفحة ما بتعليق منها ردا على أحد كتاباته والذي تعجب كل العجب كيف لم يقرأه من قبل.

كتبت: **"زوجي وصديقي "آدم" كنت أتمنى أن أكون لك أجمل وأحن وأخلص وأرق "حواء" بل كنت أتمنى أن أكون لك كل حواء كما كنت تحرص دائما أن تكون لي كل آدم، ولكني وللأسف حواء واحدة قد تكون خُلقت من ضلع رجل آخر وليس من ضلعك أنت، ولكني سأظل لك حواء طالما أنت لي آدم"**. لم يصدق ما قرأ وشعر في كل حرف من هذه الكلمات القليلة التي لخصت فيها كل المشاعر الإنسانية بينهما كزوجين من وجهة نظرها كما تشعر وكما ترى هي.

هي سمعت صوت توأميها وصوت زوجها فاستيقظت من نوم متقلب وخرجت بقلب ووجه متقلب من حجرتها لتنضم لأسرة أرادها القدر لتبدو كحواء تمارس دور زوجة النهار ودور الأم الذي تعشقه في الليل والنهار.

لم تجد أحدا في رواق صالة البيت فجلست على أريكتها المفضلة أمام التلفاز تقلب في قنواته لعلها تجد شيئا يرسم الابتسامة على

شفتيها قبل أن تنضم إلى زوجها وتوأميها فلا تبدي ما بداخلها. وما أن فتحت التلفاز حتى وجدت فيديو لزوجها مع توأميها لم تشاهده أبدا من قبل وكأن أحدا ما أعده ليكون هو أول ما تراه في الصباح. ترددت في لحظات ألا تشاهده ولكن فضولها ألح عليها أن ترى ماذا هناك بين أطفالها وزوجها ولماذا هي ليست بينهما هناك.

هو اتخذ قرارا أن يكتب لزوجته ردا على تعليقها القاسي والصريح وإن بدا راقيا. قرر أن يكون الرد في خطاب منفصل حتى يكون شاهدا له أمام التاريخ. وحتى لا يلاحظ أطفاله أي تغير على ملامحه الغاضبة، أعطاهما فزورة ينشغلان بها ليتفرغ هو لكتابة الخطاب. انشغل توأماه بالفزورة وانشغل هو بالخطاب وانشغلت زوجته في الخارج دون أن يعلم أنها مشغولة بمشاهدة التلفاز.

هي فوجئت بكلمات زوجها الرقيقة ومشاعره الحنونة في الفيديو وكأنه رجل آخر وهو يتحدث مع توأميه في لعبة هما اللذان اخترعاها وهو وافقهما بضحكة تملأ الشاشة وقلبه، لعبة المذيع والضيف وقد كان هو الضيف. وكان اللقاء عن آدم وحواء وكيف يكون آدم محبوبا وكيف تكون حواء هي الحب. **هو** شعر أن توأميه أعدا الأسئلة بعناية حتى يسمعا كيف يرى أبوهما آدم أمهما حواء.

وكما بدا في تعبيرات وجه أبيهما ولغته الجسدية واللمعة في عينيه، كان آدم صريحا في حبه واهتماماته وتمسكه وحرصه على إسعاد حوائه بطريقته التي يجددها كل يوم فقط ليسعدها. ذرفت دمعات من عينيها وهي تسمع وتشاهد كل هذه المشاعر الفياضة وكل هذا الحب المتنوع والمتدفق، وهي تراه بعيون أخرى وقلب آخر وعقل آخر. تركت الدموع تنساب من مقلتيها كيفما تشاء لعلها تزيح الغشاوة من على عينيها ويهدأ ويستقر قلبها بعد أن شاهدت بنفسها المشاعر الصادقة والفرحة في عيون آدم وأولاده.

هو أنهى الخطاب بعد أن كتب: **"زوجتي وحبيبتي السابقة "حواء"، لم أكن لكِ أبدا مجرد آدم الزوج ولكني كنت أيضا آدم الأب والأخ والعم والخال والابن. كانت مشاعري الصادقة بين هذا وذاك حتى أليق بأجمل وأخلص حواء. أما وقد اكتشفت أن حواء زوجتي لم تشعر أنها حوائي، فلكِ مني الفراق والسلام".**

هي تركت الصالة مسرعة وهرولت إلى حجرتها قبل أن يخرج زوجها ويرى الدموع في عينيها. ألقت جسدها على سريرها ولا تدري ماذا تفعل بعد ما شاهدته وسمعته من مشاعر صادقة.

ولكنها انتفضت فجأة وكأن الوحي والإلهام هبطا عليها من سقف وجدران الغرفة ولم تمض دقائق معدودة حتى بدت في أحسن زينة وجمال وإشراق لم تر هي نفسها على هذا الحسن من قبل. خرجت من حجرتها ناحية النافذة لتفاجئ زوجها في أجمل اعتذار منها عما مر من سنوات عجاف منها ذبلت فيها المشاعر بينهما حتى كادت أن تموت.

هو أمسك الخطاب وخرج لبهو الصالة عندما شعر بحثيث قدميها ليعطيها الخطاب ليبدأ حياة جديدة من المشاعر التي لا يدري عواقبها. خرج ولم يشعر أن وراءه توأميه فقد نسي العالم حواليه منذ أن قرأ أكبر كتاب في العالم وهو تعليقها الذي أربك كل مشاعره.

هو وهي تقابلا وسط الصالة.

هي في أجمل صورة وبهاء وإشراقة الأنثى استغربها. **وهو** في أسوأ حالاته النفسية والمعنوية التي يحاول جاهدا أن يخبئها في نفسه بعيدا عنها. **هو** تقدم منها وفي عينه ذبول استغربته وفي يديه خطابه الذي يشعر وكأنه ثقيل عليه ثقل جبال الألب.

هي تقدمت نحوه بدلال وشوق استغربه حتى أنه لم يقدر أن يرفع يده بالخطاب. **هي** فاجأته بقبلة على جبينه وبقبلة على وجنتيه واحتواء خصره بذراعيها في ود وحنان.

هو استسلم لحالة الحنان والشوق إلى أنفاسها في دمه حتى نسي كل مكان وحتى وقع الخطاب من يديه. لم يدر إلا وهو بين ذراعيها في خجل وكأنه عاشق جديد في الحب.

وهو في غمرة المشاعر الصامتة والاندهاش الذي هبط عليه من حنان السماء سمع بأذنيه وقلبه "زوجي الحبيب، أحبك الآن أكثر ". ودون أن يدري رد "وأنا أحبك الأمس واليوم والغد أكثر".

التقط التوأم الخطاب الذي سقط من يد آدم ونظر كل منهما إلى الآخر منبهرين كيف نجحت خطتهما هذا النجاح الكبير دون أن يدري آدم أو تدري حواء عنها شيئا. أفاق آدم وحواء من غفلة الحب على همسات وضحكات التوأم وحمدا الله أن عاد الحب إلى عشه دون أن يدري التوأم عن غيابه من قبل شيئا.

علت ضحكات الجميع وجروا صحبة ليتناولوا وجبة الإفطار التي أعدها آدم في صباح كان يتمناه منذ سنوات.



رسائل الشك

"ودائمًا ينتصر الحب في معارك الشك"

لم يصدق الرسالة التي وصلته على التو لتخبره بخيانة حبيبته مع أقرب أصدقائه. كيف يصدق وهي من أحبها حبا شديدا ذاب في دمه وتخلل في عظامه حتى أصبحت في نواة كل خلية في جوارحه وحتى أصبح حبها هو جوانحه. استبعد صدق الرسالة تماما ولم يعبأ بها أو يرد عليها فهو يثق في حبها وفي الحب الذي يربط قلبه بقلبها والتوقيع وتوافق فكره وأفكارها وإمضاء ابتسامتها الصافية على كل مكان ذهبا إليه وعلى كل وقت قضياه سويا.

كيف يشك فيها ويصدق تلك الرسالة المغرضة وهي جميلة الجميلات في الحسن والفكر والعقل ومع ذلك أحبته هو من دون من تكالبوا عليها طمعا في حسنها وحسبها ونسبها. ابتسم ابتسامة الواثق من نفسه ومن حبيبته وشريط الذكريات والحاضر الذي يربط نسيج حبهما يمر أمام عينيه مؤكدا ثقته فيها وفي إخلاصها. صحيح أنها على سفر منذ أسبوع وصحيح أن صديقه أخبره هو الآخر أنه على سفر في نفس رحلة العمل إلا أن هذا التزامن في السفر لم يحرك الشكوك فيها أو في صديقه قيد أنملة فهو أيضا يثق في صديقه حتى وإن كان يفوقه في الجاه والمال والسلطان. ابتسم في نفسه ونهض يصلي ركعتي شكر لله على ثقته في حبيبته وصديقه وفي نفسه ثم استسلم لقيلولة الحب في قلبه وقيلولة حر هذا النهار.

على عجل قرأت الرسالة التي وصلتها هذا الصباح الباكر وقبل عودتها من سفرها بيومين. لم تلقِ بالا بالرسالة التي ترمي كل كلمة فيها بظلال الشك في حبيبها الذي تركته منذ خمسة أيام. أهملت الرسالة وخرجت على عادتها لعملها لا تفكر إلا في نجاح برنامجها هذا الصباح وحتى المساء من مقابلات واجتماعات واتفاقيات تقوم بدور مهم فيها مع رئيسها في العمل الذي يصطحبها معه في زياراته الداخلية

والخارجية بالرغم من التنافس الشديد بينها وبين غريمتها في العمل التي أيضا يعتمد عليها رئيسها كاعتماده عليها.

وبعد أن أنهت اليوم بنجاح عادت إلى غرفتها في الفندق لترتاح من عناء اليوم ولتقضي بعض الوقت على التليفون مع حبيبها والذي شغلتها عنه البرامج اليومية المكثفة مع رئيسها في العمل. وما أن أخذت حماما دافئا وألقت جسدها على السرير لترتاح قليلا حتى فاجأها اتصال من رئيسها في العمل لعشاء عمل وسط المدينة. ورغم شعورها بالإجهاد إلا أنها وافقت على الفور على دعوة العشاء.

وصلته في صباح اليوم التالي رسالة أخرى تؤكد له ما جاء في الرسالة السابقة من وجود علاقة بين حبيبته وصديق العمر ومع الرسالة بعض الصور التي تؤكد اللقاءات في أوقات مختلفة كما هو واضح من الملابس المختلفة في كل صورة. لم يستطع هذه المرة أن يهمل الرسالة بعد أن رأى هذه الصور. وسأل نفسه من يكون وراء هذه الرسالة ومن التقط هذه الصور ولماذا، وما غرضه منها حتى ولو كانت حقيقة.

تعالت الأصوات في عقله تستنكر من ناحية كل اتهام وكل صورة ومن ناحية أخرى تعالت أصوات الشيطان ووساوسه في عقله تشكك

ولأول مرة في سلوك حبيبته لتؤكد مصداقية الرسالة وحقيقة الصور. عاد للرسالة يقرأها حرفا حرفا وكلمة كلمة مرات ومرات. وفي كل مرة يقرأها يجد صدى صوت الوسوسة عاليا في أذنيه يؤكد الشكوك. فها هي فعلا خارج البلاد وصديقه خارج البلاد في نفس التوقيت. وهي لم تتصل به منذ ثلاثة أيام سوى مرة واحدة وتكتفي بالرسائل المكتوبة والمقتضبة. وها هي أصبحت مشغولة عنه جدا الفترة السابقة على غير عادتها. وها هو صديقه لم يصبح يسأل عنه كثيرا الفترة الماضية وأصبح عازفا عن الزواج بعد أن انفصل عن زوجته. نهض من فوق كرسيه وصرخ في نفسه بأعلى صوته، ماذا يجري بحق الجحيم.

لم تجد وقتا لترتاح فيه من مشقة اليوم. ودون تذمر ارتدت ملابس تليق بالسهرة والعمل بدت فيها سيدة عمل وسيدة جمال وسيدة النساء. بدت في أبهى صورة تجذب إليها أنظار النساء قبل الرجال. تركت حجرتها دون أن تتصل بحبيبها الذي ينتظر مكالمتها على أحر من الجمر. بل لم ترسل له صور الملابس التي ترتديها كل مساء كنوع من الود والوصال كما اتفقا قبل سفرها. وما أن وصلت إلى بهو الفندق حتى وجدت رئيسها في العمل ينتظرها وهدية في يده قدمها لها مقابل مجهوداتها معه وإخلاصها ونجاحها في إدارة أعماله. مشت بجانبه

فخورة بنفسها وبرئيسها ناحية السيارة الليموزين خارج الفندق. وكالعادة بدأت ببرنامج عمل بسيط لم يستغرق دقائق لتفاجأ بأن بقية السهرة فقط للترويح والمرح. انتهت السهرة بنجاح بالرغم من وجود غريمتها أيضا برفقة رئيسها في العمل.

حاولت الاستئذان من شدة التعب والإجهاد ولكن رئيسها ألح عليها في البقاء فوافقت على استحياء عندما وجدت صديق زوجها موافق هو الآخر على البقاء طالما هي بقيت فشعرت بالراحة. أكملت السهرة مستمتعة بالنجاح في العمل وإعجاب رئيسها بأعماله وصديق زوجها بأناقتها وبما وصلت إليه من ثقة الجميع. عادت إلى حجرتها بالفندق في نشوة يغلفها إجهاد جعلها تنام ليلتها بملابس السهرة دون أن تدري ودون أن تتصل بحبيبها المنتظر.

لاحظ صديق حبيبها كم كانت متعبة ومجهدة أثناء السهرة ومحاولتها الاستئذان مبكرا لولا أنه أثناها عن ذلك فوافقت. اتصل عليها مرارا بعد عودتها ليطمئن عليها ولكنها لم ترد إلا بعد خمس مرات من شدة الإجهاد. لم تستغرق المكالمة سوى دقائق معدودة طمأنته فيها على نفسها وأنها على ما يرام. طلب منها أن يأتي للفندق للاطمئنان بنفسه ولكنها اعتذرت وطمأنته حتى يلتقيا في الصباح الباكر. لم ينس

أن يتصل بصديق العمر يطمئنه على الرحلة وعلى حبيبته وبنجاحاتها. شعر بتغير في نبرة صوت صديقه. سأله ماذا بك، ولكنه لم يستطع أن يأخذ منه إجابة مرضية. لم يشأ أن يضغط عليه ولكنه شعر ولأول مرة ببادرة غيرة منه لم يتوقعها أو يرتب لمردودها. كتم هذا الشعور في نفسه على أن يفعل كل ما في وسعه في أسرع وقت لإزاحة هذا الشعور من قلب وعقل صديقه.

وهي تعد حقائبها استعدادا للسفر في الصباح اكتشفت أنها نسيت أن تشتري هدية لحبيبها وبأن انهماكها في العمل جعلها تنسى الاتصال به لتخبره بعودتها في الصباح مع مجموعة العمل. وعلى الفور قررت أن تذهب لتشتري له هدية وأن تتصل به. وقبل أن تطأ قدميها المصعد فوجئت باتصال غير متوقع من رئيس العمل لدعوتها هي والمجموعة على العشاء قبل العودة. اعتذرت بلباقة وخجل بحجة نسيان شراء هدايا لبعض المقربين.

وما أن وصلت لبهو الفندق حتى وجدت صديق حبيبها يحتسي فنجانا من القهوة وعيناه تراقبان قدومها وكأنه كان في انتظارها ويعلم بمجيئها. طلب الخروج سويا لشراء الهدايا معا بعد أن أوضح لها نسيانه هو الآخر شراء هدايا للأصدقاء خاصة زوجها. ابتسمت له في خجل من

نسيانها هدية زوجها ومشيا على عجل قبل غلق أسواق الشراء. وقبل أن يخرجا من بهو الفندق ليستقلا السيارة لمحت بطرف عينيها رئيسها وباقي المجموعة وهو ينظر إليها ويريد اللحاق بها ولكنها تظاهرت بعدم رؤيته ولم تشأ أن تخبر صديق زوجها حتى لا يلاحظ واستقلا السيارة وانطلقا إلى أسواق وسط المدينة.

لم يمضِ وقت طويل حتى وجدا المجموعة ووسطهم رئيس العمل وسط أحد الأسواق وكأن المدينة الكبيرة أصبحت هذا المساء منزلا للمتسوقين. وما أن وصلت حجرتها في الفندق وألقت جسدها المتعب على سريرها لترتاح حتى فوجئت برسالة جديدة عن خيانة حبيبها في غيابها ومعها بعض الصور. وبعد أن كادت أن تنسى الرسالة الأولى أثارت هذه الرسالة الشكوك في نفسها وقضت الليلة تهادن عقلها المتعب.

وما أن شعر ببعض الاطمئنان بعد مكالمة حبيبته حتى فوجئ برسالة جديدة من نفس الرقم المجهول عن خيانة زوجته مع أعز أصدقائه مدعمة بصورهما وهما يتمشيان سويا في شوارع وسط المدينة والضحكات في وجنتيهما كشمس الضحى. وبمجرد أن قرأ الرسالة اندفع الدم إلى وجهه الأبيض حتى أصبح كقرص الشمس وقت

الغروب. رمى الموبايل على الأرض في غضب وألقى بنفسه على الكرسي أمامه في حيرة من أمره ماذا هو بفاعل تجاه هذه الرسائل. هل يواجهها الآن أم فور عودتها أم لا يخبرها ويراقبها للتأكد من صحة الشكوك. زفر زفرة شديدة كادت أن تمزق صدره وشعر بأن جبال الألب قد هبطت على صدره ولا يستطيع التنفس. فوجئ برسالة منها في كلمتين: أحبك وأريد أن تكون أول من أراهم غدا. ازدادت الحيرة في صدره ولم يعلق وظل بصره معلقا بسقف الحجرة في صمت.

أنهى الجميع إجراءات الوصول سريعا بفضل علاقات رئيس العمل وخرج الجميع سويا يتوسطهم رئيسهم الذي بدت عليه علامات السعادة الغامرة وهو محاط برعاية الجميع. وما أن خرجا من بوابة الوصول الخارجية حتى فوجئت بحبيبها ينتظرها وفي يديه صحبة الورد التي تعشقها. سلم على الجميع وألقى نظرات سريعة على صديقه ثم استأذن سريعا واصطحب معه حبيبة قلبه الموجوع. اندهش صديقه من انصرافه المفاجئ ولكنه فسر الأمر بشوقه إلى حبيبته. لاحظ رئيس الشركة هو الآخر الاستئذان المفاجئ على عكس كل مرة كان الجميع يخرج سويا مع بعض التعليقات والضحكات ولم يشأ أن يعلق وتركه ينصرف على راحته.

تأبط ذراعها محاولا أن يخفي عنها نظرات الشكوك. فمرة ينطلق في الحديث معها بلا توقف يخبرها عن تفاصيل الأسبوع في غيابها يوما بيوم في محاولة للهروب من وساوسه التي لا يريد أن يبديها لها حتى يسمع أخبارها. ومرة يصمت ويطرق في الأرض أو يشخص للسماء بلا حديث وكأن الكلمات هربت منه بلا رجعة أو كأنه فقد النطق أو الذاكرة. وكلما تحدث إليها نظر إلى الفستان الرائع الذي تزينه وتذكر الصورة التي وصلته وهي ترتدي نفس الفستان فيتوقف عن الحديث. وكلما توقف عن الحديث نظر إليها نظرة شك مغلفة بحب لا يستطيع أن يتخلى عنه. ولكن سرعان ما تهتز مشاعر الحب في قلبه عندما يرى في عينيها الحيرة بين الحديث والصمت وبين الابتسامة والوجوم. استسلم لتناقض مشاعره وترك نفسه فريسة للحظة وأحداثها.

أمسكت بذراعه وتشبثت به لتشعر بالأمان والاطمئنان الذي افتقدتهما طوال أسبوع السفر رغم كل الانشغال في مراسم العمل ورغم مظاهر البهجة والاهتمام التي أحاطتها من كل جانب وعلى غير العادة. وبالفعل تسربت إلى أديمها مشاعر الأمان النفسي وما أن بدأت دقات قلبها في الاستمتاع بصوت دقات قلبه حتى تسرب إلى قلبها شعور بخيبة الأمل والشك بمجرد أن تنظر إليه وترى نفس الذي يرتديه

في الصور التي وصلتها مساء الأمس مع رسالة الشك في علاقته بسيدة أخرى. وما أن تنتابها هذه المشاعر حتى تطاردها من مخيلتها غير مصدقة خاصة عندما تنظر في عينيه عندما يتحدث. ولكن سرعان ما تتبدد هذه المشاعر عندما ترى في عينيه الحيرة بين الحديث والصمت وبين الابتسامة والوجوم.

فتح لها برفق وبود باب الكافيه الذي تعودا أن يقضيا بعض الوقت فيه للراحة واحتساء مشروبهما المفضل كنوع من الطقوس كلما عاد أحدهما من سفر. جلست هي أمام عينيه على الطاولة المفضلة تحاول أن تدير حوارا صامتا مع نظرات عينيه الحائرة. وجلس هو أمام عينيها يحاول قراءة الأسرار التي تموج في مقلتيها. لم يستطع أن يبحر في عينيها أكثر من ذلك فاستأذن منها لدقائق عندما اغرورقت عيناه بدموع كان يُمسكها. وبدون قصد ترك التليفون على الطاولة وراح يتفقد جفنيه ومقلتيه أمام مرآة الحمام.

لم تمر دقائق حتى رن جرس التليفون ليعلن عن رسالة جديدة من رسائل الشك ومعها بعض الصور مع صديق حبيبها وهي ترتدي نفس الفستان. لم تصدق عندما قرأت الرسالة وشاهدت الصور وفجعت عندما قرأت الرسائل السابقة. وهنا أدركت نظرات الحيرة في عينيه

ومسحة الدموع التي يواريها جفناه. غلبت عليها هي الأخرى دموع كانت تحسبها وشجون كانت تواريها. عندما وجدته قادما نهضت وتركت الطاولة واستأذنت منه لدقائق لتعدل هندامها ودون أن تدري تركت التليفون على الطاولة.

لاحظ بريق دمعات دفينة تحبسها في عينيها ولم يشأ أن يسألها حتى تعود بعد أن قرر أن يقرأ لها الرسائل ويواجهها لعله يرتاح. لم تمر دقائق حتى رن جرس تليفونها ليعلن عن وصول رسالة شك جديدة في حبيبها. لم يصدق فحوى الرسالة وفجع عندما قرأ الرسائل السابقة والكذب والافتراء الذي يجعل أي سيدة تشك في حبيبها من أول رسالة. فجع أكثر عندما قرأ رسالة الشك فيها والتي وصلته هو الآخر وهو في الحمام.

وهنا أدرك أن الراسل واحد من رقم موبايل واحد وهنا تأكد له أيضا أن الغرض واحد وهو التفرقة بينهما لأسباب لا يعلمها ولكنها مؤكد بعيدة عن صديقه الذي استخدم كأداة بشرية لتنفيذ الخطة. وهنا قرر أن يتفحص الصور التي جاءته من قبل بدقة لعله يلاحظ شيئا. وبالفعل لاحظ نظرات التخطيط والمكر في عيني رئيسه من ناحية وغريمة حبيبته في العمل من ناحية أخرى. تذكر كم كانت هذه الحسناء



تتودد إليه بدلال وحنان وتذكر كم كان رئيس العمل يتودد بحذر إلى حبيبته. وهنا أدرك خطوط الخطة اللئيمة وراء الرسائل بتعاون الحسناء ورئيسها. وهنا تبدل القلق في جوفه والحيرة في قلبه إلى طوفان من مشاعر الحب والحنان المتدفق.

وما أن رآها قادمة حتى نهض والفرحة تغمره ليقبل يديها وجبينها ورأسها وشفتيها. حملها بين ذراعيه كطفلته المدللة وهي تبتسم وتضحك ولا تدري ما سر كل هذا التحول في دقائق. ولما سألته في دلال أخبرها السر في رسائل الشك الكاذبة وقص لها حكاية ألف ليلة وليلة حتى نامت على مقعد السيارة بين يديه طفلة بريئة كانت تبحث عن الأمان منذ أسبوع والآن وجدته.



مصيدة الرحيل

"وفي الرحيل عن الأحباء موت"

جلس على كرسيه بجوار الشباك تائها في خيالاته وواقعه الجديد الذي ألقى نفسه فيه. جلس لا يدري بمن حوله في القطار والناس حوله لا يشعرون به وكلٌّ في عالمه. شعر بأنه ارتكب خطأ العمر بقرار الرحيل بعد أن وقع في مصيدة الرحيل. تمنى لو يتوقف القطار الآن أو يهدئ من سرعته ليقفز ويعود من حيث أتى ليتخلص من شعور الوحدة الذي يقتله في كل لحظة رغم زحمة الناس التي لا تطاق.

وكلما أسرع القطار وكلما ترك وراءه نحو الجنوب محطات البلاد التي لا يعرف أسماءها من قبل كلما فقد الأمل في العودة وكلما زادت

ضربات نبضات قلبه الذي أصبح على وشك الانفجار بما فيه من حزن وقلق ووحدة. أصبح طريق القطار إلى الجنوب وكأنه رحلة إلى جهنم فكلما ترك وراءه محطة شعر وكأن قطعة من جسده داس عليها القطار بصفيره.

سافر كثيرا واستمتع بسفره كثيرا ولكن هذه أول مرة يشعر فيها بالعجز والوحدة والخوف والقلق من المجهول ليس من البلاد التي هو مسافر إليها ولكن من المشاعر الحانية التي تولدت في قلبه لموطنه ولا يستطيع أن يتخلص منها منذ أن تحرك القطار.

تذكرها وتمنى أن يعود الزمان إلى الوراء دفعة واحدة ليفوز بنظرة منها، نظرة حنين يعيش عليها بقية العمر. تذكر كم أحبها وكم عاشا سويا وكأنهما صديقين وحبيبين. تمنى لو صرخ في الناس بشكواه لعل أحدهم يوقف ذلك القطار اللعين الذي يبعده عنها. تعجب كيف أصبح بهذا الضعف وهو الذي تهابه الأعين والقلوب والعقول. تعجب كيف أصبح مشتاقا إليها كالطفل كشوق الأرض الشرقي إلى نقطة ماء ولو مالحة.

تذكر اللحظة التي وقف أمامها كالجبل لا تهزه كلماتها الحانية وتوسلاتها الباكية. تذكر وهو رافع رأسه وعينيه إلى السماء بقلب جامد

وعقل شارد ليخبرها بسفره دون كلمة وداع ودون مراسم رحيل. تذكر كيف كان قاسيا كالصخر ومرا كالحنظل وهي تحاول أن تثنيه عن قرار السفر حتى أصبحت عيناها حمراء من البكاء كموقد النار.

ذرفت من عينيه دمعات تركها تسيل على وجنتيه لعلها ترطب نار الندم التي تسري في جسده بسبب فراقه المفاجئ. تمنى لو أنه في حلم أو كابوس ينتهي في لحظات. ولكن الكابوس كان واقعا بين يديه وفي قلبه ينازع عقله وهو مكتوف اليدين لا يستطيع أن يوقف نزيف الأفكار.

أخيرا وصل القطار إلى منتهاه واستقبله الناس هناك في وجوم. تعجب لماذا كل هذا الوجوم وهم من عرضوا وألحوا عليه بالرحيل إليهم والعمل معهم في الجنوب بكل صدق وحب وكرم وأمل في كل ما هو قادم. ازداد حزنا على حزنه وقلقا على قلقه ووحدة على وحدته. ثم فوجئ بأحدهم يستقبله بتَرحاب وحضن لمس فيه حنينا وهو يربت على كتفيه.

زاد تعجبه مما يرى أهم في وجوم أم في شوق أم هو ما زال يعيش الكابوس المؤلم. سأله أحدهم لماذا التليفون مقفول لقد أقلقتنا عليك. وهنا تذكر أنه وبعناده كان قد قرر أن يقفل التليفون بمجرد أن قرر الرحيل.

فتح التليفون ليفاجأ برسالة جعلته ينتحب من هول الرحيل. "البقية في حياتك، تعيش وتفتكر، لقد رحلت الوالدة وهي تدعو لك بالعودة من الرحيل". بكت كل خلية في جسده وتمنى ولو كان قد قبل يديها وقدميها وكان لينا معها قبل الرحيل.



مشاعر لا تعرف الخوف

"المشاعر الطيبة لا تعرف الرحيل"

طالما استنكر السؤال الذي يواجهه ما الفارق بين السعادة والرضا. ففي نظره أن السعادة هي التي تجلب كل الأشياء بما فيها الرضا. ولكنه لم يدرك أبدا أن الرضا ليس من الأشياء بشيء.

وقف أمام المرآة الكبيرة في غرفة مكتبه الوثير ناظرا إلى وجهه الذي تعكس ملامحه وتنطق عيناه بالسعادة الغامرة التي تسري في قلبه وعقله وجوانحه بما أنجزه من تحقيقات مهمة من خلال سلسلة من العمل المضني لإرضاء غرور طموحه وتطلعه إلى المنصب الرفيع الذي يرجوه والذي أصبح على وشك أن يناله.

وعلى غير عادته، تذكر والديه الذي كان يحتمي في مظلة دعائهما في صغره ولكنه نسي كلا منهما منذ نزوحه من مسقط رأسه من خمسة وعشرين عاما. تعجب كيف له أن ينساهما كل هذه السنوات الطوال، وتعجب ما هو السر وراء تذكره لهما الآن.

ورغم أن شعور السعادة والفخر بما أنجزه ما زال يغمره، إلا أنه شعر بخجل شديد من نفسه وانقباض في قلبه. ركن إلى نفسه برهة وأخذته الذكريات إلى الزمن البعيد الذي كان فيه الولد المدلل عند والديه. وهو وسط رائحة الذكريات تلك قرر أن يغير وجهته وأن يذهب ليزور قبر والديه بعد هذه القطيعة الطويلة التي لم يلقِ لها بالا من قبل.

ركب سيارته الفارهة وقادها بنفسه وقصد مسقط رأسه مباشرة دون أن يعود إلى بيته ويخبر أسرته عن وجهته. وصل إلى أرض المقابر التي يعرفها ولكنه فوجئ ببنايات عالية والمكان غير المكان والشواهد غير الشواهد والقبور التي كان يحتضنها تراب الأرض عن ملل وسكون وصمت يخافه ويهابه كل زائر، وقد تحولت إلى أبراج عالية تطل من عيونها الأنوار وضجيج الناس. تعجب ماذا حدث هنا، هل ضل المكان.

جرى نحو سائس السيارات يسأله عما حدث وعن حقيقة الأمر وهل هو في حلم أم حقيقة. فقد جاء ليبحث عن قبر والديه واللافتة

الرخام التي كانت تميز لحديهما عن باقي اللحود إلا أنه وجد لافتات بأضواء النيون الزاهية والموسيقى الصاخبة حتى كاد يظن أنه في حلم من أحلام المساء.

تملكته الدهشة مرة أخرى عندما أخبره السائس أنه لا يدري كيف كان المكان إلا أنه سمع من الناس أن هذا المكان الذي يضج بأهله وتجارته كان يوما ما واحة ملآنة بالقبور التي تم نقلها بقرار من المحافظة منذ عشر سنوات. أصيب بنوبة من المشاعر التي سرت في قلبه وعقله وجوانحه تقطعها إربا إربا وهو يمشي تائها بين البنايات يبحث عن مكان قبر والديه ولكن بلا جدوى. وتأكد له الخبر من رئيس الحي.

ازدادت حدة المشاعر في قلبه وشعر بوحدة بالغة وخوف من المجهول فقد أصبح هو الآخر بلا لحد يأويه. حمل حزنه وأسفه ومخاوفه على كتفيه وركب سيارته قاصدا بيته ليرتمي في حضن أسرته ويحتمي بجدران بيته لعله يجد فيه الأمان بعيدا عن معاول هذه المشاعر التي ما زالت تقطعه إربا.

وما أن وصل إلى بيته حتى انزوى في سريره باكيا قطيعته لوالديه وفقدانه لقبرهما ولقبره الذي كان مزارا في الزمان الذي كان. أيقظ أهل



بيته وقص لهم هذا الفقدان الكبير وقرر أن يبني قبرا آخر لنفسه ولأسرته ويضع عليه لافتة جديدة من الرخام تحمل اسم العائلة. والدموع تطل من عينيه أوصى أبناءه بحرقة ألا ينقطعوا عن السؤال عنه بعد مماته حتى لا يفقدوه ويفتقد برهما كما فقد وافتقد والديه.

وهنا قرر أن يكون طموحه في عمله بنية ترك بصمة في حياته لبعد مماته. وهنا فقط تحول شعور السعادة الذي كان يملؤه ثم تاه إلى شعور بالرضا يملأ ذاته وكيانه وينبض به قلبه. وهنا فقط أدرك الفارق بين شعور السعادة بالنفس والرضاء عن النفس، السؤال الذي كان لا يعرف له إجابة.

وهنا فقط ولد من جديد بين أحضان أولاده وروح والديه.



في قلب واحد وللأبد

"ويسري الحب في الدماء بإشارات مرور يرسمها القدر"

على بعد ٣٥ كيلو من قلب العاصمة، أخذت "مريم" مكانها على كرسيها المفضل بركن الأنتريه لتستريح من مشوار اليوم الطويل الذي قضته وسط البلد في شراء احتياجات الأسبوع للبيت ولزوجها "تواضروس" الذي عادة ما يعود متأخرا في المساء لطبيعة عمله. أراحت "مريم" رأسها قليلا إلى الوراء ومددت قدميها على المقعد لعلها تفوز بقسط من النعاس قبل أن تنهض مرة أخرى لإنجاز أعمال البيت.

تسلل النعاس إلى عينيها التي أغمضتهما في استرخاء لا يقاوم على أنغام أم كلثوم وهي تشدو "القلب يعشق كل جميل". كم تعشق كلمات ولحن هذه الأغنية الرائعة التي تغزل بحروفها رداء من السلام النفسي في حب الله وحب الناس وحب كل شيء جميل. الأغنية التي سمعتها لأول مرة مع صديقة العمر "فاطمة" التي قاسمتها طموح وهموم الحياة بكل مراحلها في الطفولة والصبا والشباب.

وبعد زواج كلٍّ منهما انتقلا من الشارع العتيق الذي جمع أحلامهما وشهد على صداقتهما إلى منزل الزوجية. انتقلت "مريم" لأطراف المدينة وانتقلت "فاطمة" إلى وسط المدينة. ولكن ما زالت الأحبال المتينة التي تجمع قلبها مع "فاطمة" كما هي في قوتها ومتانتها رغم الفراق.

أخيرا وصلت "فاطمة" إلى باب شقتها بعد عناء يوم عمل شاق الذي انتهى على التو بعد أن امتلأ عن آخره بأعمال متوقعة وغير متوقعة هنا وهناك، شعرت "فاطمة" بإجهاد شديد وحاجة أشد لراحة الجسد والعقل ولو لدقائق قليلة قبل أن تبدأ رحلة النصف الثاني من اليوم في ترتيب المنزل والعشاء قبل عودة زوجها "محمود" من عمله الثاني بعد قليل.

أمسكت فاطمة الريموت تقلب في قنوات التلفاز حتى فوجئت بأغنية سيد مكاوي التي تعشقها "حلوين من يومنا والله وقلوبنا كويسة". ابتسمت في نفسها للحظ الذي أهداها هذه الأغنية بكلماتها الغنية بعطور الحب والسلام النفسي. ألقت نفسها على سريرها كفستان ممزق وأخذت تدندن مع سيد مكاوي تاركة روحها تحلق في سماء الغرفة وكلمات الأغنية تعيد وصل فستان أنفاسها المتعبة.

ورويدا رويدا تركت فستان روحها لهدوء هذا المساء الرائع والذي يحمل معه عبق أنفاس الربيع القادم على الأبواب. لم تقاوم النعاس فتركت نفسها للنوم وهي على السرير يفعل بها ما يشاء خاصة أن صخب الأولاد ما زال نائما معهم وسيصحو ليرج أجواء البيت بعد قليل.

رن جرس التليفون الذي أزاح النعاس من عيني "مريم" فجأة وبلا استئذان. شعرت بكسل شديد منعها من الرد على التليفون وابتسمت وهمست في نفسها لن أرد الآن وليكن من يكون. وبالفعل أغمضت "مريم" عينيها المجهدة مرة أخرى واستسلمت لنوبة النعاس التي تسيطر عليها بسبب الإجهاد خاصة أنها تعلم تماما أن هذا الوقت بالتحديد ليس وقت اتصال زوجها "تواضروس" لوجوده في العمل الذي يقدسه كتقديس آيات الإنجيل المجيد.

ملأت الابتسامة وجهها بعد أن اكتشفت في نفسها قوة غير عادية على العناد فهذه أول مرة تقرر ألا ترد على التليفون مهما كان السبب. زادت الابتسامة على وجنتيها وهي تتخيل منظر "تواضروس" أمامها وهي تعانده على غير العادة في تحضير العشاء، تخيلته وهو يبتسم غيظا منها وهو يحايلها ويقبل يديها ليفوز بالعشاء وهي ما زالت تعانده. ضحكت وتمنت أن يأتي "تواضروس" الآن لتعانده لتقضي أمسية رومانسية هادئة المزاج والحال. راحت في النعاس ووجه "تواضروس" يضحك في عينيها المغمضتين.

أفاقت "فاطمة" من نوبة النعاس التي كانت تتلذذ بها كالملاك الصغير على دقات قوية على الباب لا تنقطع. نهضت بسرعة وكأن ثعبانا لسع خديها وجرت نحو الباب وهي تفرك عينيها لترى ماذا هناك وكأنه كابوس أخرجها من حلو نومها. فتحت الباب لتجد ابنتها في حالة هلع وبكاء شديد. أخذتها في حضنها النائم وحاولت أن تعرف ماذا جرى في الربع الساعة التي استسلمت فيها لنوم زائف.

وأخيرا فهمت من ابنتها أن طنط "مريم" حاولت الاتصال بها كثيرا ولكن دون فائدة فاضطرت أن تتصل بها لتخبرها بمأساة زوجها عمو

"تواضروس" الذي انتقل بين الحياة والموت إلى المستشفى الخاص بوسط البلد لإجراء عملية قلب مفتوح هكذا وبدون سابق إنذار.

دهشت "فاطمة" مما سمعت من ابنتها خاصة أن "تواضروس" لم يشتك من قبل أي أعراض تشير إلى مشاكل قلبية، بل كانت المشكلة الكبرى التي تشتكي مريم منه وهي تداعبه بضحكاتها أن قلبه الكبير الذي يتسع للعالم كله يحتاج إلى ألف قفص صدري ليحتويه. وعلى الفور اتصلت "فاطمة" بمريم لتفهم أكثر فتأكدت من حجم المشكلة وكم أن "تواضروس" في أشد الحاجة لنقل دم في الحال.

وبسرعة اتصلت "فاطمة" بزوجها "محمود" الذي كانت تنتظره على العشاء مع الأولاد لتخبره بما حدث. ولكن "محمود" كان قد علم من مريم بعد أن اتصلت به وهو الآن في طريقه إلى المستشفى غير مصدق لما حدث. تركت "فاطمة" الأولاد وجرت مهرولة هي الأخرى نحو المستشفى لتكون بجوار صديقتها وزوجها في أشد محن الحياة قاطبة، عندما يئن القلب الكبير من تصلب شرايينه.

المستشفى يعج بالمرضى، وكأن الناس كلها أصبحت مرضى. تخطت "فاطمة" الجميع وجرت نحو الاستقبال تسأل عن مكان "تواضروس ميخائيل" لتجده في العناية المركزة لعمل الفحوصات

اللازمة حتى يتم تجهيز غرفة العمليات. جرت نحوه غير مصدقة هذا الشحوب الذي يغطي وجهه الذي كان حتى أمس تتناثر منه الابتسامات والضحكات المتفائلة حواليه لكل الناس.

كم هو ضعيف هذا الإنسان وكيف أن المرض لا يفرق بين كبير وصغير ومسلم ومسيحي وغني وفقير ومتعلم وغير متعلم. إنه المرض الذي يزور جسد الإنسان من وقت إلى آخر حتى يفيق من سياج غروره وكبريائه الذي يحيط به نفسه فيكسره المرض ويحطمه ليدخل منه التواضع والحمد والشكر لله.

جرت نحوه فوجدت تحت قدميه محمود ومريم وإخوته والممرضة التي طلبت من الجميع التبرع بالدم فورا قبل إجراء العملية إنقاذا لحياته. تسابق الجميع للتبرع بأي كمية دم ضرورية. ابتسمت الممرضة للجميع لتخبرهم أن الأهم من كمية الدم نوعيته، فقلب الأستاذ تواضروس لن يقبل إلا نوعا محددا من الدم، والذي نتمنى أنه يسري في عروق أحدكم. نظر الجميع إلى بعضهم البعض في صمت رهيب مخافة من اختلاف فصائل الدم.

هرول جميع من في الغرفة نحو معمل الدم وكلٌّ منهم يتمنى أن يكون سببا في إنقاذ حياة تواضروس. وبعد دقائق ظهرت الممرضة لتخبرهم أن هناك اثنين فقط من كل المتبرعين فصيلة دمهم تتوافق



مع فصيلة دم تواضروس. وهنا ارتاح الجميع وتساءلوا من منا يملك هذه الدماء التي سوف تجري في عروق تواضروس ليعود نبض قلبه للحياة. ابتسمت الممرضة مع غمزة مقصودة بعينها لتداعب محمود ومايكل أصدقاء تواضروس. وهنا قرر القدر دون أخذ رأي الجميع أن تجري دماء محمود ودماء مايكل جنبا إلى جنب في جسد تواضروس حتى يشاء الله.

ابتسم "تواضروس" الذي كان يستمع إلى الحديث بقلب ضاحك، ليقول للجميع: "كده أنا بقيت هجين، الشاطر بقى اللي يديني دم أكثر علشان يملكني أكثر".

ضحك الجميع على دعابة تواضروس بالرغم من شدة الموقف وتمنوا له السلامة والشفاء العاجل. غادر محمود ومايكل الحجرة إلى معمل الدم للتنافس في التبرع بأعز ما يملكون.

وبعد نجاح العملية أصرت الممرضة والجراح على تسجيل هذا الموقف الرائع بالكاميرا لتصبح صورة العام لتعلق في مدخل المستشفى وقد كُتب تحتها: "هنا تم توحيد الدماء بترتيب وتوقيع من القدر".



شياكة الغضب

"وعند الرحيل يتمنى المحب أن يسد كل نافذة في جسد الحبيب حتى لا ترحل روحه"

دخل "شهاب" الحانة غاضبا من نفسه وعلى نفسه وحانقا على كل العالم الطيب والشرير. دفع الباب المروحي المؤدي إلى الغرفة الزرقاء التي يلجأ إليها كلما أصابته نوبة غضب وهبطت عليه أمطار الظلم. دخل وعيناه تبحث عن صديقه الذي دائما ما يخفف عنه بأسلوبه الساخر من الحياة وهمومها.

هلل صديق عمره "فؤاد" عندما رآه يدخل عليه بهندام العمل، فهو يعلم تماما أن شهاب لا يطأ هذه الحانة إلا عندما يبحث عن وسيلة ما

للهرب من ذاته وزاده من الغضب أو الحزن. جرى نحوه وكأسه في يده ويده الأخرى تفسح له كرسيا بجواره. وعلى الفور قدمه لزملائه. لوحوا له بكؤوسهم وبسحابات الدخان من أفواههم.

"ماذا أتى بك اليوم صديقي، مؤكد هناك أمر ما جلل، أخبرني وأنا وأفكار شيطاني تحت أمرك ومعي هؤلاء الأبالسة، فلديهم كل الخطط للفتك برأس أي ظالم وأي مفتري"

أنا لا أريد أن أفتك بأحد يا فؤاد، أنا جئت هنا فقط لأقاتل الهموم في نفسي لعلي أفلح في إعدامها. لا تُشغل بالك بي فيكفي أن أنفث بعض الدخان الذي أكرهه ولا أحب فيه سوى رائحته وقدرته على التشكل في الهواء دوامات قبل أن يقرر أن يختفي عن الوجود. ليتني كنت مثل هذا الدخان.

لديك حق يا شهاب، فما أجمل رؤية الدخان المحروق في رئاتنا يا عزيزي. فعندما نستنشقه نشعر بلذة وعندما نزفره من صدورنا نشعر بلذة أكبر لأنه يخرج محملا بهمومنا التي ينتزعها نزعا من صدورنا. أمسك بالنرجيلة صديقي وخذ نفسا قويا وعميقا لعلك تخرج كل هموم صدرك دفعة واحدة.

أخرج "شهاب" سحابة دخان كثيفة غطت رأس فؤاد وزملائه فلم يعد يرى إلا ضحكاتهم العالية على هذا النفث العميق الذي مؤكد يعكس هموما عميقة. حاول أن يأخذ نفسا عميقا آخر من النرجيلة ولكنه أصابته نوبة سعال شديدة جعلت عيني فؤاد تترقبه خوفا عليه. وما أن خفت نوبة السعال حتى أخذ نفسا عميقا ليخرج سحابة كثيفة بيضاء ولكنها هذه المرة ملونة برذاذ الدماء. لم يبال "شهاب" بهذا الرذاذ رغم نوبة السعال الثانية التي كادت أن تخلع ضلوعه من صدره وهو لا يتألم.

لم يصدق "فؤاد" ما رأى من رذاذ الدم الذي يتناثر في سحابات صديقه. خطف منه النرجيلة ليوقفه عن هذا الهراء، وسأله في قلق "هل تشعر بأي ألم، هل أنت بخير". لماذا كل هذا الدخان ولماذا كل هذه السحابات وأنا أعلم أنك لست مدخنا. ماذا في هذه السحابات من هموم يا صديقي. أخبرني. وبالطبع لم يخبره فؤاد برذاذ الدماء التي تبخرت في الهواء ولكنه تمنى أن يسعل مرة أخرى ليتأكد أن رذاذ الدماء كانت لمجرد سعاله وليس لداء تمكن منه.

لا تنزعج من رذاذ الدماء يا عزيزي فهي رذاذات ألم الهموم التي من الواضح أنها انفجرت دفعة واحدة في صدري فسالت منها دمائي. لا تقلق

أنا ما زلت بخير، فقط كنت أحتاج أن أفجر همومي وأنزع منها آلامي. ولكن واضح أن الهموم كبرت وتفحشت فأصبحت مريضا بالهموم.

رد فؤاد بغضب وقلق شديد على شهاب، أخبرني ماذا حدث، ما كل هذا الحزن ومن السبب فيه وحقن فيك هذه النغمة الحزينة التي لم أعهدها بهذه الصورة من قبل. لقد كنت دائما قويا بل كنت الأقوى، لا أطيق أن أراك حزينا هكذا يا صديقي. من هو هذا الوغد أو الأوغاد الذين أوقعوك في شباك الحزن هكذا. أخبرني وأعدك أن أفتك بهم.

وبصوت خافت يكاد لا يسمع رد شهاب، الهموم هي نسيج فينا يا فؤاد لا نستطيع التخلص منه، كل ما نستطيع فعله هو منعها من التورم والانتشار في نفوسنا. وها أنا ذا قد فجرتها بداخلي بمشرطك اللعين وأشعر الآن أني بخير، فقط أريد أن أعود من حيث أتيت لأهدأ وأرتاح.

رد فؤاد بغضب: لا، لن أتركك قبل أن تخبرني ماذا حدث ولماذا كل هذه الهموم. ولن أرحم من تسبب لك في ذلك. انضم لصوت فؤاد صوت زملائه الذين توقفوا عن تدخين النرجيلة ليترقبوا هذا الحوار الغاضب-الهادئ وخوفا على صدورهم من رذاذ الدماء.

لن أخبرك يا صديقي إلا قبل أن تعدني بألا تنتقم من أي إنسان تسبب في إيذائي وحقن في صدري الهم والحزن. أنا قد شفيت من آلامي

وأعدك أن أحافظ على نسيج همومي من عدم الانتفاخ مرة أخري. أعدني قبل أن أخبرك!!!!

جن جنون فؤاد واشتاط غضبا كتمه في نفسه حتى يخبره شهاب بما حدث. وكانت لطمة كبرى لفؤاد أن يسمع ما يخبره به شهاب من كم ونوع الخداع والنفاق والخيانة والظلم الذي تعرض له من صديقه الآخر والذي طالما حذره منه والذي لم يعتبره أبدا صديقا. صاح في نفسه صيحة كادت أن تمزق صدره إربا وتعجب كيف لشهاب أن يسكت عن كل هذا الظلم والهموم دون أن يدافع عن نفسه بل بالهجوم الذي يملك كل أسلحته البيضاء والسوداء.

وما أن أكمل شهاب حكايته بأحداثها مع صديقه الآخر حتى هب فؤاد ومعه زملاؤه في الوعد بالنيل وبسهولة من هذا الوغد حتى لو كان محصنا بروابط الصداقة مع شهاب أو بأي روابط أخرى قد تسبب لهم بعض الأذى.

قرأ "شهاب" سطور الشرر في عيونهم والخطط الجاهزة في عقولهم ليفتكوا بهذا الصديق بكل السبل خاصة وأن فؤاد نفسه قد ذاق منه بعض رذاذ المكر والخديعة من قبل.

أستحلفك بالله وبصداقتنا يا فؤاد ألا تُقدم على فعل شيء يؤذيه، فأنا قد سامحته. ولم يستطع شهاب أن ينهض من مكانه، وشعر بألم شديد يمزق صدره، ودخل في نوبة سعال عاتية لم يكن يتوقعها بكل هذا السوء. وتطايرت مع السعال رذاذات الدم التي بدأ يبصقها لتتناثر على قميص بذلته الأبيض كقلبه.

انحنى "فؤاد" والقلق يملؤه على صديق العمر: ماذا بك يا صديقي، هل تخبئ عني شيئا، لم تكن أبدا بهذا السوء من قبل.

أرجو ألا تحنث بوعدي يا فؤاد، لقد سامحت كل من آذاني، وليسامحني الجميع، اوعدني يا فؤاد.

لم يملك "فؤاد" إلا أن يمتثل لطلب شهاب وطأطئ رأسه بالموافقة والدموع تسيل من عينيه وهو يرى روح صديق العمر تنساب من صدره. بكاه بحرقة وهو يجلس بجواره في سيارة الإسعاف التي انطلقت في شوارع المدينة تصرخ في المارة وفؤاد يسد كل فتحة في جسد شهاب حتى لا تخرج روحه ومعها ابتسامته الطيبة...



على ناصية الحب

"ومهما غاب الحبيب يظل المحب منتظرًا على ناصية الحب"

مشى بجوارها مشدودا بقامته ومعتدا برجولته وكأنه الفارس الذي نجح في ترويض جواده بعد أن استعصى عليه مرات ومرات. شعر وكأن العالم أجمع يمشي خلفه وهو ينظر إليها من قلبه. شعر بفرحة كل رجال العالم الذين فازوا في تسلق جبال الحب ليصلوا لقلوب أحبوها. مد يده في خجل ليلامس أديمها الذي كم يتمنى أن يُقَبله الآن بقلبه وشفتيه ومهجته غير مصدق أنه يكاد يلمسه.

لم تتردد، وأعطته يدها في خجل لعلها تستمد من أديم راحتيه أحاسيس لم تستطع أن تشعر بها في عينيه. تمنت أن تدلها لمسة يديه على وجود حبه في مكان ما في قلبها فتسلمه له وترتاح من مضايقات الأهل والأصدقاء والجيران كلما رأوا بِنصرِها الأيمن خاليا من خاتم الارتباط. سلمت له يدها لعل بِنْصَرِها يرتاح ويريح نظرات الناس.

عانقت يده يدها، فاندفع كل ما يسكن عروقه من حب مخزون طوال عمره الخمسين من أديمه إلى أديم يديها. وما أن لمست يديه راحتيها حتى شعر بنسائم مشاعر كل العاشقين تداعب قلبه. تمنى أن تدوم هذه اللحظة الرائعة وتمنى بنهاية اللقاء أن تقبل الخاتم الذي اشتراه لها صباح اليوم ليفاجئ قلبه إن قبلت يده.

ما أن أمسك بيديها حتى شعرت ببرودة تتسلل إلى حجرات قلبها، برودة تحولت رويدا رويدا إلى صقيع كاد أن يجمد اندفاع الدم في جسدها الممشوق بالرغم من قيظ صيف اليوم. تعجبت من أين تتولد هذه البرودة فهو يبدو سعيدا ومبتسما بملامحه وعينيه وشفتيه. سحبت يدها من يده بخفة حتى تتأكد أن هذه البرودة القادمة منه ليست خيالا علميا كالذي تدرسه لطلابها. وبمجرد أن سحبت يدها من راحته، تلاشت

البرودة وحلّت حرارة دمها إلى أديم راحتيها. سألته بتعجب حبسته بداخلها، أتشعر ببرودة الجو أو الجسد.

رد بتعجب: بالطبع لا فالجو حار جدا ولكني أشعر به نسائم وأنا أسير بجوارك وأتنفس شذا أنفاسك، لا أشعر أبدا بالقيظ وأنا معكِ حتى ولو كنت أتبختر عاريا على صفيح ساخن. أشعر فقط أني مقبل على ربيع العمر الذي كان قد ولى.

كتمت أنفاسها ولم تخبره ولم تشعره بالبرودة التي انسابت إليها حين تحسست أديم مشاعره. وهنا تأكد لها أن قلبها يخبرها بأن اليوم هو آخر المرات التي واعدته فيها. المرات التي حاولت فيها أن تستكشف شيئا ما قد يربطه بها بعد أن ظلت ترفض يده ثلاث مرات وبدون سبب رغم كل المغريات التي يمتلكها وتتمنى الأخريات أن تنال ولو قسطا منها.

وفي المرة التي قَبَلت يده رفضه قلبها. حملت الأربعين عاما على كتفيها ومضت بجواره غير عابئة إلا بقلبها الذي ما زال ينبض كفتاة مراهقة في العشرين من عمرها. تذكرت حبها الأول وتمنت أن يُبعث من مرقده ويعود من هجرته ولو كخيال طيف يمس وجنتيها ولو للحظات.



شعر بوجها الملائكيّ وأدرك أنها ليست معه، شعر وكأنها تتأبط ذراع وجه آخر لا يراه. قرر أن يفرج عنها ويتركها تبحث عن قلب هذا الوجه الغائب ولعلها تجده ولو في الخيال.

أدركت ما يدور في عقله، فابتسمت له ولوحت براحتيها تودعه عند أول ناصية لشارع الحب وتمنت له قلبا يغازل قلبه ويقبله.

ابتسم لها ملوحا وتمنى أن يقابلها يوما ما مع حبيب العمر ولو على ناصية الحب. مضى في طريقه وما زالت يده تداعب الخاتم في جيبه وتمنى أن يكون خاتم سليمان.

مضت تراقص طريق شارع الحب وقلبها يتأبط ذاك الوجه الغائب.



الانفجار الجميل

"وهناك من مشاعر حب المفخخة بقنابل الكره"

أطالت النظر في المرآة ككل صباح ومساء تتغزل في رموش عينيها وجمال حاجبيها ونعومة شفتيها. تتأكد من تورد خديها واتساع سهول حاجبيها المنبسطة على جبينها في عزة وكبرياء. وكلما نظرت إلى المرآة وجدت نفسها أجمل من المرات السابقة، وأحبت نفسها أكثر وأكثر. وكلما نظرت إلى المرآة راق لها هذا الوجه المليح والجسد الممشوق والصوت الأنثوي الطاغي كلحن أسطوري خرج من أوتار العود الشرقي أو الكمان ليزغرد طليقا في الهواء. وكلما نظرت في المرآة تعجبت كيف لهذا الوجه الملائكي على هذا الجسد المتفجر بالأنوثة

الطاغية لا يُختار دون الوجوه الأخرى ليكون صاحب تاج ملكة جمال هذا الحي الراقي.

بعد رفضها الورد الذي يصلها كل صباح من صاحبها المجهول بتوقيع "عاشق المستحيل" طوال سبعة أيام هي فترة إقامتها في غرفتها بالفندق حتى الآن، فكرت اليوم بجدية في قبول الورد بعد أن راودها الفضول للتعرف على هذا العاشق الذي يعلم بعنادها ويعلم أنها ليست لأحد إلا نفسها ومع ذلك يصر على مواصلة إرسال ورده في نفس الميعاد كل صباح دون أن يمل. وبالفعل قررت أن تقبل الورد هذه المرة لترى من هو وماذا يريد خاصة بعد أن قرأت تلك الكلمات التي أرسلها اليوم مع الورد والتي حركت المشاعر النائمة في قلبها العنيد.

"شفتان مكسوتان بحرير من سندس معطر بشذاه من العنبر. وأنف هو فرع من الياسمين بين حافتي بحيرتين ماؤهما من سلسبيل يُسكر كل بَحَّار متعطش للهوى. ووجنتان هما مشرقا الشمس ذابا فيهما غروب الأصيل ليرسم لوحة من قوس قزح ألوان طيفه تعكس فرحة الماضي وتفاؤل المستقبل الضاحك. وجبين هو واحة بيضاء ترسو عليها القلوب المتعبة في الحياة والمشتاقة للحب والهاربة من

المستحيل". هكذا وصفتها الكلمات في الكارت الذي جاءها صباح اليوم مع صحبة الورد الحمراء والبيضاء التي ذيله صاحبه بعاشق المستحيل.

وما أن قرأت الكلمات حتى سرت في قلبها رعشة حانية جعلت من كل خلية في قلبها قلبا ينبض حنانا ويدق عشقا لقلب آخر لا يعرف من هو. تعجبت من صاحب هذه الكلمات التي لم تسمعها من أحد بتلك الجرأة من قبل. وتعجبت أكثر لماذا لم يوقع تحت الكلمات باسمه رغم كل هذه الجرأة. تمنت لو كان قد كتب اسمه وتليفونه وعنوانه. تمنت أن يكتب لها كل يوم. فبالرغم من جمالها الذي يذيب حياء العيون ويوقظ القلوب اليائسة ويشعل العقول النائمة، إلا أن هذه الكلمات لم يكتبها أحد لها من قبل. وبالرغم من قصائد الغزل التي تسمعها هنا وهناك إلا أنها لم تشعر بهذه الحالة من المشاعر الحانية التي تسري في جسدها كله الآن كشلال هادئ من الرقة والعذوبة ممزوجة بحبات من العشق اللانهائي. تمنت أن تكون هذه الكلمات فأل خير لمسابقة اليوم، فقد جاءت الكلمات في موعدها تماما.

ومن يا تُرى صاحب هذا القلب الرقيق الذي استطاع أن يخطف مشاعرها مرة واحدة دون أن تراه. ما نوع هذا القلب الذي استطاع أن يذيب العناد في خلايا قلبها الرافض لكل عاشق يدق أبوابه. تمنت لو

تعرفه لكي تقبله فيكفي أنه الوحيد الذي استطاع أن يحرك مشاعرها ولو لدقائق. كم كانت تحتاج وبشدة لتلك الكلمات التي توصف ملامحها بدقة وعذوبة وحب. كلمات غازلت الجمال في ملامحها فأعطتها الثقة في أنها اليوم هي الملكة المتوجة على عرش الجمال وتحقيق حلمها الكبير في أن تصبح أميرة هذا الحي.

وفي مساء اليوم التالي فوجئت وهي تطل على حديقة الفندق من غرفتها ليلة الاحتفال بشاب كالقمر يلوح لها بيديه في دلال وابتسامات الفرحة تتناثر من شفتيه تعكس الاهتمام والشغف والإصرار في عينيه. ولأنها لا تعرفه، همت بترك الشباك ولكنه هم وألقى إليها بورقة مكتوب عليها نفس الكلمات التي أرسلها مع صحبة الورد ومذيلة أيضا بعاشق المستحيل. وهنا أدركت أنه نفس الشاب الذي أعجبتها كلماته وسرى في جسدها شعور حلو من المشاعر الحانية دون أن تراه.

والآن وبعد أن رأته وارتاحت لحلاوته ولجرأته أدركت لماذا تذوقت تلك المشاعر التي تمكنت منها ولأول مرة. ابتسمت له بدلال، فتشجع واقترب من النافذة محاولا أن يمسك بيديها، قاومت ولكنها استسلمت له كورقة الياسمين التي تتمايل على غصنها بفعل نسمات ليلة ربيعية. وبعد أن شربا من حنين النظرات واللمسات أخبرها بقبل

أن يهم بالرحيل أنه سوف يرسل لها الورد في الصباح ومعها كلماته التي أرسلها أمس وطلب منها أن تحمل كارت الكلمات معها في صدرها وفوق قلبها لتشعر بحبه وهو ينظر إليها من بين صفوف الحاضرين غدًا في الحفل الكبير. أومأت برأسها بالموافقة وشعرت أنها الآن وليس غدًا ملكة جمال العاشقين.

همس إليها وهو يقبل يديها قبل أن ينصرف: أحبك كما لم يحب روميو جولييت.

قالت: ولماذا جولييت، فقد فارقت الحياة هي وروميو وهما في عنفوان الحب.

قال: ليتني أموت غدا وكل غد في حبك.

تعجبت من ذكر كلمة الموت مع الحب ولمع قلق في عينيها ولكن سرعان ما ذاب تحت تأثير نظرات عينيه الساحرة. ترك يديها ملوحا وانصرف والفرحة تتدحرج تحت قدميه ليعيش عليها حتى يلقاها مساء الغد فقد أعطته دعوة لحضور الحفل الختامي للمسابقة الذي لم يكن يخطر بباله أن تسير الأمور هكذا كما تمنى وخطط.

ألقت نظرة أخرى على الكارت الوردي لتقرأ الكلمات الرقيقة في وصف ملامحها، قرأتها وكأنها تقرأ وِردا أو حجابا يحصنها من مفاجآت

هذا اليوم الذي تنتظره منذ شهور على أحر من الجمر. تورد خداها ولمعت عيناها بفعل سحر الكلمات وابتسمت لنفسها وتمايلت برقة وعذوبة أمام المرآة وأمسكت طرف فستانها كالطفلة وتراقصت مع خيالها وكأن القدر بالفعل حقق لها حُلمها الكبير في أن تُتوج اليوم بل الآن ملكة جمال هذه المدينة بل العالم كله.

استيقظت على دقات قلبها العالية من قلق ومن شغف ومن مشاعر حب، خليط من المشاعر الذي احتل قلبها ولا تستطيع أن تمسك بواحد من هذا الخليط العجيب. راحت تطل من شباك غرفتها تتنسم هواء الصبح الذي ما زال يحمل بين نسماته بقايا لقاء ليلة أمس مع فتاها الذي نسيت حتى أن تعرف اسمه وعنوانه وتليفونه. ولكن سرعان ما تبدد القلق عندما رأت أفراد الأمن يستقبلون نفس الورد الذي تعودوا على استقباله كل يوم. وبلهفة نادت عليهم وابتسمت في خجل لتعلن أنها لها. وعلى الفور أرسل أفراد الأمن الورد إلى غرفتها فاستقبلتها بلهفة وبحضن وقبلة لعل قلق قلبها يتبدد.

خرجت من الحجرة المخصصة لها لتتقابل مع باقي الوصيفات سويا في نفس اللحظة على مسرح المسابقة التي ظلت تُعد نفسها لها طيلة الأشهر الماضية. خرجن جميعا في منظر خلاب ليشكلْن معا كلمة

"الجمال" على مسرح المسابقة وكأنهن ملائكة نزلن من السماء تتساقط حولهن العذوبة والأنوثة والرقة وتفيض منهن رائحة الجمال الضاحك في خجل. وقفت وسطهن وكلها ثقة أنها سوف تتوج ملكة جمال اليوم، كيف لا وما زال سحر الكلمات يسري في قلبها ويدغدغ كل خلية في جسدها.

المسرح يبدو رائعا يتحرك الجمال فيه بكل ركن. والجميع على أهبة الاستعداد ومشغولون بوضع اللمسات الأخيرة في دقة متناهية فسوف يحضر الحفل عِلية القوم ووسطهم المسئولون الكبار في سرية تامة ووراءهم المعجبون ببطاقات دعوة خاصة. الكل ينتابه القلق أن تنجح المراسم ككل عام بنجاح وأن يمر اليوم على خير وسط رجال الإعلام القادمين من كل مكان. وأخيرا بدا المسرح جميلا وهادئا وراقيا ومستعدا لبدء الحفل واستقبال الضيوف ثم وصيفات الجمال على صوت موسيقى الساكس الهادئة التي تسري كنسمات الربيع في المكان.

وقفت وسط الوصيفات متألقة، تشعر وكأنها أميرة الأميرات بل ملكة المليكات تتناثر الفرحة من وجنتيها والسعادة تنبض في صدرها ولِمَ لا وفتاها هناك يجلس أمامها وسط الصفوف وعينه لا تروح عن كل خطوة أو حركة أو همسة منها على المسرح.

تحول قلبها إلى ينبوع من المشاعر المتدفقة في كل اتجاه، أحبت هذه اللحظة الفريدة التي شعرت فيها أنها ملكة العالم في المشاعر وليس الجمال. وكلما نظر إليها فتاها ضغطت على صدرها كما وعدته لتتحسس كارت كلماته الذي يحمل في حروفه كلامه الحلو الذي لا تعرف كيف انتقل إلى لب قلبها وهي التي شيدت حائط صد منيع تجاه العواطف حتى انهار بفعل كلمات من شاب جعل قلبها يلين ويستجيب بل وجعلها تدعوه لأهم حدث في حياتها.

جاءت اللحظة الفاصلة التي أعلن فيها مقدم الحفل عن بدء آخر فقرة في المسابقة والإعلان عن ملكة الجمال. طُلب من كل فتاة على المسرح أن تقدم نفسها في كلمات بسيطة أمام الجمهور ولجنة التحكيم. وبعد أن تفننت كل فتاة في عرض جمال كلماتها وثقافتها وأحلامها لنفسها والكون، جاء دورها لتقدم نفسها في رقة ودلال بكلمات حملت حروفها ثقافة راقية ومفردات عذبة للغات متنوعة. وفاجأت الجميع بغناء أغنية من تأليفها وألحانها وتوزيعها بأداء يخلب العقول ويخلع القلوب، أغنية عنوانها "مرايتي"، أغنية لم تعرف كيف تولدت كلماتها الآن فقط على الهواء مباشرة وهي التي لم تفكر فيها قبل هذه اللحظة. كلمات جعلتها تشعر بتولد الجمال الحقيقي فيها، جمال القلب الذي

يحركه الإحساس وليست الملامح التي يحركها الجمال. إحساس تولد في عيونها وشفتيها ووجنتيها فبدت وكأنها ملكة الإحساس والجمال.

"مرايتي يا أحلي بيت جوايا، سكني وفرحتي الحيرانة، أدور على فرحتي فيكي، وأهرب من الحيرة جوايا، عيوني فيكي طفلة فرحانة، ولما أبعد عن نظرتك، ألاقي الدنيا زعلانة، وحيدة والناس جوايا، مش شايفة فيكي غير نفسي، وجمالي وحلمي وعنادي، وناسية السلام حواليا، وجمال الكون في عنيا، وفي ضحكة على غفلة، وكلمتين بيجروا على ورقة، بيقولوا مشاعرنا في لهفة، وفي يوم بصيت فيكي، لقيتك بتضحكي وتغني وتقولي، يا ريت تشوفي غير نفسك، فيكي وفي العالم حواليكي، الدنيا فيها الجمال ألوان، ويستاهل نشوفه ونغني، في وسط الناس الشقيانة، الجمال مش بس ملامح، الجمال روح حلوة فرحانة، ومن يومها بقيت أنا، ملكة جمال نفسي، وروح للناس فرحانة".

صفق الحاضرون كثيرا على ارتجالها هذه الأغنية الجميلة بصوتها الدافئ ومشاعرها المتدفقة من ملامحها كشذا الياسمين.

نظرت إليه بحنان وحب، ونظر إليها بشغف وتمنى.

لمعت عيناها وتمنت لو جاء يحملها على ذراعيه الآن أمام الناس.



نظر إليها وعينه لا تفارق صدرها النابض.

وضعت يدها على صدرها المشتاق.

وضع يده على صدره المتعطش.

نسيت التصفيق والموسيقى التي تخلب العقول وهامت في عينيه التي لا تفارقها ويدها على صدرها تتحسس كارت المحبة العجيب.

نسى كل من حوله إلا أن يضغط على كارت المحبة الذي يضعه على بطنه. ضغط على الكارت في اللحظة الفاصلة كما هو مخطط ليتحول المكان كله وبمن فيه إلى حطام وأشلاء. علا الصراخ والعويل لمن بقي مجرد أشلاء هنا وهناك مملوءة بالجراح وملطخة بالدماء.

انتهت الأحلام كما بدأت وسط الدماء بسبب كارت الحب الذي فخخه صاحبه بالكره والحقد كما شاء.



رعشة من القدر

"ما أجمل القدر عندما يطبطب على المحبين رغم مطبات وعثرات الطريق"

وفجأة بدأ يضيق هذا العالم الفسيح بارتفاع سمائه وانبساط أرضه ليصبح حبيس أربعة جدران لا يستطيع أن يلمس أحدهما من شدة الوهن. هذا ما شعر به "منتصر" وهو في عز شبابه الذي لم يتخط الثلاثين عاما بعد أن أصيب برعشة في يديه وقدميه تسللت إلى كل خلية في جسده حتى رموش عينيه.

نظر "منتصر" إلى صورته المعلقة على جدار الغرفة المقابل له وهو يلاكم خصمه بالضربة القاضية منذ خمسة أعوام وهو في السنة

النهائية من دراسة الهندسة. نظر إلى الصورة والدموع تتساقط من عينيه وهي تهتز تحت تأثير رعشات وجنتيه. تمنى لو تتوقف هذه الرعشات اللعينة ولو لثوان قليلة يبكي فيها بطريقة طبيعية ولكن هيهات فلم تسمع نداءه الرعشات.

ألقى "منتصر" بهمومه مع زفيره في هواء الغرفة دفعات حتى امتلأت الغرفة عن آخرها بهمومه التي يطلقها كل صباح ومساء فأصبح يشم رائحتها مع كل شهيق وزفير. تمنى ولو أحد هنا يجالسه الآن في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولكن هيهات فلن يشعر به أحد هنا وفي هذه اللحظة قبل صباح الغد عندما يأتي صديقه المخلص "سعد" ليطمئن عليه قبل أن يذهب إلى العمل وكذلك عند عودته من العمل. "سعد" الذي جهز شقته الصغيرة لتريح "منتصر" بقدر المستطاع ولكن من يريح مريضا شابا ملآنَ بالقوة ولكن قوة مرتعشة.

لم تكن "هند" هناك في هذا اليوم عندما هزمه خصمه بالضربة القاضية ليرتمي على رأسه على أرض حلبة المصارعة ليغمى عليه من شدة الارتطام ويتم نقله إلى أقرب مستشفى. لم تكن "هند" هناك ولم يخبرها أحد من دائرة الأصدقاء من هم على دراية بالعلاقة

العاطفية الحميمة بينها وبين منتصر. لم تكن هناك لأنها سافرت إلى الخارج في مهمة علمية لمدة ثلاثة أشهر لدراسة أسباب (الرعش اللا إرادي) لدى صغار السن.

سافرت هند المهمة العلمية التي طالما عارضها فيها "منتصر" حتى تكون بجواره ويتقدم لخطبتها وتستقر وتشرق الحياة بينهما. ورغم معارضته لها آلاف المرات، إلا أنه لم يشأ أن يكسر لها خاطرا أو يقف أمام رغبة تتمناها فوافق على مضض فقط من أجل حبهما الذي اتفقا سويا أن يذيب كل الاختلافات.

سافرت إلى البعثة التي كم عارضها أيضا أستاذها لعدم موافقته على تخصص الرعش اللا إرادي النادر والذي يصيب أقل من 1% من الشباب، ولكنها أصرَّت وقررت وسافرت حتى تكون متميزة ومتفردة فقط من أجل منتصر ومن أجل أولاد المستقبل من منتصر.

ظل منتصر ينظر إلى الصورة المعلقة على الجدار والتي تذكره دائما بقوة شبابه المرتعش الآن. ولكن ماذا تفعل النظرات سوى جلب مزيد من الألم والحزن ومزيد من الرعشات. تمنى لو تكن هند هنا، "هند" التي لم يحب أحدا غيرها، "هند" التي عشق صراع الحلبة حتى يكون بطلا أمامها، "هند" التي تعرف عليها منذ العام الأول وهي في كليه الهندسة

وكأن القدر خلق كليه الهندسة وخلق التعليم وخلق هذه المساحة من الأرض في كلية الهندسة لتكون سببا ومكانا وزمانا يتقابل فيه مع من خفق قلبه لها من أول لمحة. "هند" التي تخرجت من قسم الهندسة الطبية الذي تم فتحه لتكون هي أول دفعة والأولى عليه. إنه القدر الذي يريد ونحن لا ندرك ما وراء هذه الإرادة.

تذكر "منتصر" هند وفاضت عيناه بالدمع المرتعش فلم تسأل عن مرضه منذ أن سافر ولم يشأ هو أن يخبرها حتى لا يستجدي العطف والسؤال منها بالرغم من الرعشة البائنة في صوته كلما رد على تليفوناتها لتطمئن عليه وتزف له أخبار نجاحاتها في البعثة. ووسط دمعاته المرتعشة التي سالت على وجنتيه المرتعشة شعر "منتصر" بدوار في رأسه ونام دون أن يدري حتى أفاق في الصباح على دقات يعلمها جيدا.

لحسن الحظ كان الصباح جميلا في شمسه وضيائه ودفئه وفي غياب نوبة الرعشة التي تنتابه من حين إلى آخر دون إنذار مسبق إلا إذا تقوقعت حالته النفسية. فتح الباب وقلبه فقط الذي يرتعش من نبض دقات الباب التي يعرف صاحبها جيدا ويستطيع تمييز أناملها من آلاف

الأنامل. لم يصدق خيالاته فهند مؤكد ما زالت في البعثة فهي لم تخبره بيوم وصولها بعد. ولكنها دقات أناملها التي تدق على قلبه المرتعش.

جرى نحو الباب وتمنى ألا تأتيه النوبة الآن، وفتح الباب ليجدها هي، هي هند وابتسامتها تسبقها وشذا عبيرها يلاحقها وحضورها الطاغي يغازلها. لم يصدق أشعة الشمس وهي تلون شعر هند بكل ألوان الطيف، لم يصدق صديقه سعد الذي يقف بجوارها مبتسما، لم يصدق قلبه الغض المرتعش، لم يصدق الزمان أو المكان وهو ينظر في عينيها كالطفل الذي كان يبحث عن صدر أمه، احتضنها بشدة وكاد أن يغمى عليه من الفرحة.

إزيك منتصر حبيبي، أوحشتني وحشة العمر، وأحببت أن يكون مجيئي مفاجأة لأرى لحظة شوق اللقاء في عينيك بدون سابق ميعاد.. أراك في أحسن صورة، تعالَ هنا في حضني حتى أضم بقلبي حنين اشتياقكك.

ارتمى "منتصر" في حضن هند وتمنى ألا تأتيه النوبة الآن حتى يستمتع بكل لحظة اشتياق إليها وحتى لا تعرف عن نوبة مرضه شيئا على الأقل الآن.

ولكنها فاجأته:

- أنا معي خبر لن تصدقه يا منتصر، خبر لا يقدر بكل حلو الحياة.

نظر "منتصر" إلى صديقه "سعد" الذي ما زال مبتسما وعيناه لا تتركانه: ماذا هناك يا سعد، أراك تبتسم وكأنك تعرف كل شيء عن المفاجأة.

- فعلا منتصر، أنا أعرف المفاجأة منذ شهر وليس الآن، فقد أخبرتني بها هند كسر حربي.

وبابتسامة كلها حنان وقلق: وما هي المفاجأة يا هند التي تجعل الفرحة تقفز من عينيكِ هكذا.

- المفاجأة يا منتصر يا حبيبي هي...

وقبل أن تكمل، تذكر منتصر حاله فوضع يده على فم هند: قبل أن تخبريني بمفاجأتك حبيبتي دعيني أولا أخبرك عن مفاجأة من العيار الثقيل لم أشأ أن أخبرك بها حتى لا أعكر صفوك وأنتِ على سفر.

- يا حبيبي مفاجأتي هي رد على مفاجأتك التي أعلم بها منذ حدوثها ولكني لم أشأ إلا أن أرد عليها بمفاجأتي الآن.

- إذا أخبريني سيدتي عن مفاجأتك، أخبريني صديقتي وحبيبتي...

وبفرحة عارمة: أنا حجزت لك عند دكتور كبير متخصص في نوبات الرعشة اللا إرادية عند صغار السن وهو من المجموعة التي عملت معها

طيلة ثلاث شهور للبعثة ولديه أكبر مركز في العالم لعلاج هذه النوبات في أقل من ستة أشهر.

- إذا أنتِ فعلا على دراية بما أصابني.

- طبعا حبيبي، وبكل شيء عنك وعن أعراضها وأسبابها وأوقاتها ورعشاتها.. هانسافر في خلال أسبوعين من الآن.

لم يصدق "منتصر" ما يسمع، أهكذا القدر عندما يخطط للأحداث، ألهذا السبب تقابلت مع هند في كلية الهندسة لنعيش أجمل قصة حب عرفتها الكلية، ألهذا قررت هند أن تدرس الهندسة الطبية، ألهذا تفوقت على أقرانها، ألهذا صممت على البعثة وعلى هذا التخصص بالتحديد الذي عارضها فيه الجميع، التخصص الذي قررت أن تخوضه حتى قبل أن أصاب بهذه الرعشة. ألهذا عشقت أنا الملاكمة لكي أكون بطلا تتغنى به هند، ألهذا أصبت بداء الرعشة وهي غير متواجدة. حقا القدر لديه كل الخطط والأسباب ولكن ما أحلى أسباب القدر عندما تحقق رغباتنا ولو مرة واحدة في الحياة...

رد "منتصر" بابتسامة حانية ترسم حبه الصافي ليطبعها على جبين هند: ما أحلى القدر يا هند حينما ينسج من الحب والقرب ثوبا حوالينا نلتحف به من معاناة الحياة.. ما أحلى القدر عندما ينسج من الأسباب



بحلوها ومرها مواعيد للقاء وللحب، أنا قدرك يا هند وأنتِ قدري وحبنا أجمل ما نسجه القدر..

تأبط "منتصر" ذراع هند ومشيا الهوينة بين أشعة الشمس على موعد مع السعادة وتركا "سعد" وما زالت الابتسامة على شفتيه..



شهيد الحب

"مشت الهوينة والجمال يتناثر من ملامحها فيزين كل شيء حولها ويجمله ولو كان قبيحًا"

مشي بخطوات حثيثة يعدها عدا وراء أريج أثار قدميها وشذا حروف كلماتها المتناثرة في الهواء الذي يتنفسه شهيقا حتى أدمنه ولا يريد أن يخرجه زفيرا أبدًا لولا حبه البقاء حيا من أجل أن يتنفس المزيد.

مشت أمامه بين صديقاتها ضاحكة ضحكة كنسمات الربيع التي لم تعرف شتاءً ولا خريفا من قبل. مشت الهوينة والجمال يتناثر من ملامحها فيزين كل شيء حولها ويجمله ولو كان قبيحًا.

تمني ولو لا تتوقف عن المشي ولا الحديث حتى يرتوي بأريج قدميها ويتنفس أريج حديثها. تملكه حبها وعشقه ولكنه لا يستطيع البوح لها بمشاعره التي نبتت فيه منذ أن رأي عينيها أول مرة تدور في المكان باحثة عن مقعد ترتاح فيه حتى يأتي دورها في طابور انتظار الاستعارة من المكتبة العامة بعد أن توقفت خدمات الانترنيت تماما في المدينة بسبب عطل فني منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

لم يصدق لحظتها وجود جمال ورقة وعذوبة ودلال كالذي يراه فيها الآن. تجمدت عيناه وتسمرت كل الخلايا فيها على ملامحها. لم ينقذه من هذا الموقف سوي النداء على اسمه في طابور الانتظار. تلعثم لثوان ولكنه سرعان ما لملم أشلاء نفسه حتى طلب منها برقة بالغة أن تأخذ دوره حتى لا تطيل الانتظار. شكرته بإيماءة رقيقة كادت أن تذيب قلبه وأضلعه تحت قدميه.

أنهت الاستعارة وحملت كتابين بين ذراعيها وأخذتها خطواتها نحوه لتشكره بابتسامة رقيقة وهي تبدو كطفلة استلمت كتبها المدرسية لأول مرة.

وقف شاخصا أمام رقتها غير قادر على الرد سوي بهمهمات لم تفهم منها سوي أنه يريد أن يشكرها. زادت ابتسامته الخجولة من ردة

فعله الصبيانية التي يبدو فيها ذروة الإعجاب بها ولكنها استأذنت مسرعة لتركب سيارتها تاركة ابتسامتها تزين ملامحه وأريج كلماتها يعطر المكان.

فكر في الاعتذار عن دوره ليلحق بها استجابة لقلبه ولكنه توقف عندما نودي على اسمه مرات ومرات. ومنذ ذلك الوقت وقلبه أسير حبها وأصبح يتردد على المكتبة العامة كل يوم على أمل أن يراها مرة ثانية وهي ترد الكتابين، ولكنها لم تأت إلا بعد أسبوعين كانوا له كسنتين كبيستين تحول قلبه فيهما إلى قطعة من الخبز أحرقها فرن الحب.

"أهلا، إزي حضرتك، سعيدة أني قابلتك مرة أخري وشكرا جدا على موقفك الراقي معي المرة الماضية". وجهت له هذه الكلمات فور أن لمحته من بعد.

وما أن سمع تلك الكلمات القليلة المنقوعة في عصير من الرقة والعذوبة منها وبوصفها إياه بالرقي حتى كادت دموع الفرحة تنساب من مقلتيه، ولكنه تماسك وحاول أن يبدو قويا رغم أنه يشعر بألف صبي وطفل بداخله يتنافسون في محاولة لمس فستانها الجميل.

"حضرتك منتظر في الطابور علشان استعارة ولا رد الاستعارة". همست بتلك الكلمات وعينيها على شفتيه المرتعشتين رغم الفحولة

التي تبدوا في ملامحه والرجولة التي تعكسها مقلتيه والوسامة التي تزين وجهه البريء.

حاول أن يرد ولكنه لم يستطع الرد رغم أنه صاحب الكلمات المفوه بحكم عمله. ظل ناظرًا إليها بقلب يرتجف وعيون عاشقة تفضح العشق المختبئ فيها من الخجل. تشجع وأمسك بالخطاب الذي أعده مسبقًا وكتب فيه كل ما خطر على قلبه وأملته عليه مشاعره طيلة أسبوعين ترك العنان فيهما لقلبه يعبر نيابة عن شفتيه كيفما يشاء.

أمسك بالخطاب وقدمه إليها بأنامله المرتعشة التي تحول كل منها إلى قلب نابض. سيدتي، أنا هنا اليوم وكل يوم على أمل رؤياك مرة أخري منذ أن التقينا لأعطيك هذا الخطاب نيابة عني والذي أتمنى أن يكون ضمن استعارة اليوم.

اندهشت من رد فعله وهذا الخطاب فهي لم تتوقع أبدا أن يغازلها بخطاب رغم أنها شعرت بإعجابه الشديد المرة الماضية. ولكنها قررت أن تقبل الخطاب بدون تردد وكلها شغف أن تري ما خطه فيه من كلمات تحسبها مفخخة بالمشاعر كما يبدو من نظرات عينيه. شعرت بتيار من الحب يسري بين أنامله وهو يسلمها الخطاب. شعرت بقشعريرة تسري في عروقها ولكن سرعان ما انتبهت ووعدته بأن تقرأ الخطاب فور عودتها للمنزل.

ظل منتظرا طوال اليوم لعله يفوز باتصال منها كما طلب في خطابه بعد أن تقرأه ولكن اليوم طال دون اتصال. مر يوم واثنان وثلاث حتى جاءت أجمل لحظة في الوجود عندما جاءه اتصال كان وراءه صوتها الدافئ الذي يحمل بداخل نبراته صوت كل الحسناوات الرقيقات. كانت اللحظة من أرق ما تكون فقد كانت كلماتها أرق من النسيم وأروع من الربيع، كانت كلماتها مثل حفيف الشجر السعيد في مساء ربيعي خلاب. استمرت في حديثها الجميل وهو يستمع إليها كالطفل الذي ينصت إل حدوتة أمه قبل النوم ولكن بقلب وعيون لا تريد أن تنام من حلاوة الحديث.

سألته "لماذا لا تتكلم معي وتعلق على كلماتي".

رد عليها بنبض قلبه المرهف "لا أريد الآن سوي أن أسمع صدي صوتك يتردد في قلبي وهمس أنفاسك تروي صدري حتى ارتوي فالخوف يملأني سيدتي أن أصبح كالأرض الشراقي بعد هذا الحلم العذري الجميل.

بخجل يتساقط من شفتيها، تنهدت بشفقة تصحبها رقة تذوب فيها عذوبة وقعت على قلبه كرذاذ المطر في ليلة صيف قائظة "أنت إنسان رائع ولديك مشاعر رقراقة وفياضة تتمناها أي فتاة في الوجود لتفوز بكل هذا الحب وهذه المشاعر، ولكني للأسف سيدي قلبي مرتبط بحبيب.

لم يستطع أن يرد، رغم كل محاولاته في الرد، وظل ممسكًا بسماعة الهاتف ولا يريد أن يفيق على صدمة نار هذا الحريق.

ولما أدركت أنه وقع فريسة صدمتة الاعتراف ولم يستطع أن يرد، تركته معلقا على الهاتف وهي تردد "تمنياتي لك بحب كبير مثل قلبك الكبير".

ظل يستمع إلى صوتها وكأنها تردد أغنية من ألف ليلة وليلة...

ومنذ اللقاء الأول وهو مازال يقرأ نفس الكتابين بنهم وحب فيكفي أن يديها قد لمستهما، وأن أناملها قد قلبت في الصفحات، وأن عينيها قد تأملت في الكلمات. وما زال يقرأ الكتابين بحب شديد حتى حفظهما عن باطن قلب، وحتى كتب كتابا فيهما ليشفي حنين قلبه، وحتي كتب كتابا آخر يصف فيه حبه وعشقه...

ومنذ آخر حديث على الهاتف وهو يمشي وراءها يتعقب أريج قدميها، ويستنشق شذا عبير كلماتها المبعثرة في الهواء دون أن تشعر به أو تراه حتى لا تحرمه من شذا الطريق فقد أصبح شهيد الرقة والعذوبة والحنين للحب..



فراق المشاعر

"سحبت جسدها من جسده وخلاياها من خلاياه ونبض قلبها من نبضاته وقصدت غرفتها تداري عن دمعاتها"

كانت مفاجأة كبيرة تلقتها في اتصال تليفوني وهي في زحمة العمل. لم تصدق نفسها رغم توقعها وتركت مكتبها مسرعة دون أن تستأذن وليكن ما يكون.

صعدت السلم بسرعة ولهفة دون أن تشعر بالإجهاد الذي يملأ جسدها بسبب الفرحة التي تغمر قلبها وتجوب كل جوانحها. وما أن وصلت إلى الدور الخامس حتى جرت نحو الباب ولهفتها تسبق أنفاسها.

وجدته واقفا وراء الباب بابتسامته العريضة الصافية التي اشتاقت إليها منذ عام كامل. نظر في عينيها المترقرقتين بدمعات من فرحة ولهفة الاشتياق. احتضن وجنتيها بين راحتيه فقد اشتاق إلى تقبيل جبينها كل صباح كفيتامين الحياة يحيا عليه طوال النهار حتى يعود إلى دفء عشها في المساء.

ارتمت في حضنه الواسع لترتوي من حنان نبضات قلبه ودفء مشاعره وطمأنينة صدره. نظر إلى عينيها العميقتين وشفتيها الموردتين بالفرحة ليشعر بأنه أمير كل الرجال وهي بين يديه ملكة كل النساء. لمس بأنامله شفتيها ليتحسس ويهدأ من لوعة أشواقها إليه.

صمتت في همس وتركت مشاعرها تسري من جسدها إلى جسده لينبض قلبيهما سويا وراء الباب الذي يشهد الآن أروع لقاء منذ فراقهما الأخير وهي تبكي على ذراعه آنذاك ألا يتركها.

أمسك براحتيها مناجيا كل خلية في جسدها أن تقبله.

أرخت راحتيها لراحتيه لتشعر براحة قلبها وعقلها الذي هدهما طول الفراق. مشيا كطفلين بين المقاعد حتى وصلا إلى مقعدهما المفضل وجلس كعريس ليلة زفافه وجلست هي بجواره تتأبط وسطه كطفلته المدللة.

نظر إلى عينيها "اشتقت إليك حبيبتي كشوق العيون إلى ضياء الفجر".

تاهت عينيها في عينيه "وأنت حبيبي لقلبي الفجر وشروقه فلا تغيب عني بعد الآن فقد هدني الشوق والفراق".

رد عليها وما زالت عينيه حالمة في عينيها "حبيبتي أوعدك أن يكون آخر فراق، دعيني أسافر مرة أخري ولعام واحد وأعود بعدها لأكون بجانبك طوال عمرنا الباقي بدون فراق".

نظرت إلى عينيه وغاصت بمقلتيها المبللة بالدموع في مقلتيه " زوجي الحبيب لم يعد في القلب مكانا للفراق فقد أصبح قلبي بلا شواطئ من كثرة المد والجزر في مياهه ما بين لقاء وفراق، حبيبي" أرجوا ألا تفارق هذه المرة فقد وهن القلب ولم يعد قادرا على لغة الفراق".

رد ويديه مازالت ممسكة براحتيها "حبيبتي فليكن آخر فراق وأعاهدك على العودة ومعي صك بيع الفراق وللأبد".

ارتعشت خلايا قلبها وعقلها بلا توقف كعصفور ذبيح ونهضت من جانبه ووقفت أمامه كطفلة تائهة يتيمة من الأب والأم. وفي هدوء سحبت راحتيها من يديه لتضعهما على عينيها لتواري دمعات تجمدت

في مقلتيها عن عمد فقد أبت أن تدعها تنهمر على وجنتيها كما تعودت كل مرة من مرات الفراق.

سحبت جسدها من جسده، وخلاياها من خلاياه، ونبض قلبها من نبضاته، وقصدت غرفتها لتلقي بنفسها بين أجساد أولادها التائهة في أحلام المساء لتبحث بينهم عن دفء لصدرها. دفء سوف تحتاجه الأيام القادمة لينسيها ويعوضها عن لحظات لقاء المشاعر وصقيع الفراق.

نادي عليها كما تعود دائما أن تعود إليه بدمعات في عينيها ليمسحها عنها ويهدهد من مشاعرها لتبدأ سهرتهما الرومانسية. ولكنها أبدا لم ترد ولم تأتي رغم علو نداءاته.

دخل عليها ليجدها نائمة وسط أولادها وعيناها ناظرة لسقف الحجرة تبحث فيه عن ملاذ من نداءاته. يئس من ردها فخرج ليغلق باب الغرفة وراءه ثم باب الشقة ومنه إلى لقاء الأصحاب على كافيه السحاب.

وهكذا كان آخر لقاء وآخر فراق منذ سنوات الذي ما زال يتذكره كلما شاهد في غربته ألبوم الذكريات ودمعات تترقرق في مقلتيه على ما فات وعصي على العودة.



كلاكيت آخر مرة

"شعر بأنه آدم الأول وأنها حواء الأولى والآخرة"

المساء يطوق جسد الليل ببرد شتاء قارص يجمد المشاعر في القلوب قبل كرات الدم الحمراء والبيضاء في عروق المارة. برد لا يرحم ولا يفرق بين قلب مُحب وعقل كاره ولا بين عزول وعاشق.

وقف وحيدا والبرد الغاضب يتسلل إلى أديمه بلا رحمة. وقف وعينيه تقلبان في الأضواء الخافتة هناك على الطريق، لعلها تتخفى فيها خجلا من عيون الناس. وبعد طول انتظار، لم يمل منه بل أحبه، رآها قادمة على عجل وفي خجل ملتحفة معطفها الرمادي، الشمس عن يمينها والقمر عن يسارها، والليل وراءها يمشي حارسا لأنفاسها.

هرول نحوها، وما أن وقف بين يديها حتى نسي البرد القارص الذي كاد أن يجمد جسده منذ قليل بعد تأخرها ساعة عن موعدها.

نظر إلى عينيها بخجل ثم تشجع وطوق خصرها النحيل بذراعيه. سري في خلايا جسده دفء بطعم الربيع وقشعريرة لهفة من لوعة اشتياقه إليها. ضغطت بكفيها على راحتيه فتحول الدفء في عروقه إلى نار حامية لهيبها من المشاعر الحانية والشوق الجارف الذي يتأجج بين جوانحه منذ آخر لقاء بينهما. شعر وكأنه بركان من الحب في رحم أرض ثائرة يحبس نفسه من الفوران.

شعرت هي بحرور النار في خصرها وهي تتكأ على دماء الحب التي تغلي في كفيه. خافت أن تذوب وتهوي بين ذراعيه مغشيا عليها من سكرة الحب.

حاول أن يُخفي نار مشاعره ولكنه لم يستطع. حاول أن يُطفأها، ولكنه كلما حاول اشتدت نار العشق في قلبه اشتعالا.

ذابت هي بين ذراعيه غارقة في لذة الدفء بين شواطئ شفتيه، والمد والجذب في عينيه.

طوق صدرها بصدره، وخصرها بخصره، ويديها بيديه حتى أصبح كالنار واللهب، والليل ينظر إليهما شاخصا وشاهدا ومندهشا بنجومه

وكواكبه وأقماره من هذه القلوب العطشى للحب، فلم يعد هناك الكثير من القلوب التي تعطش وتشرب ماء الحب العذبة فمعظم القلوب أصبحت خاوية على عروشها ظمأي ولكن لخمر يسكر وليس لحب يروي. هذه قلوب استثنائية.

تنهدت وتنهدت لتعترف له ولأول مرة بحبها العذري الكبير، الحب الذي كانت تُخبأه في قلبها وفي مقلتيها وتحت أديم وجنتيها خجلا من قلبها وخوفا على قلبه.

لم يحتاج أن تتكلم فقد أخبرته دقات قلبها عن اعترافاتها المتدفقة بالحب من نهر مشاعرها العذبة. نظر في عينيها فقرأ مؤلفات الحب والعشق والهيام بكل لغات العالم منذ خلق آدم وحواء. شعر بأنه آدم الأول وأنها حواء الأولي والآخرة. شعر بأنها خُلقت من كل ضلوعه كما شاء في لحظة حالمة. شعر وكأنه ولد الآن على أيدي نجوم هذا المساء وكتب شهادة ميلاده القمر الساهر وشهدت على زواج حبهما نجوم السماء. شعر وكأن الحب لم يخلق إلا الآن وكأن النساء لم يُخلقن قبل الآن. ذابا في بعضهما البعض. لم يعد يدري أين هو منها وأين هي منه. أصبحا تحت أديم واحد وفي قلب واحد يدق فيه وينبض فيها.

وهما في رحلة عناق سافرا فيها بعيدا عن أنين الأرض تحت أقدامهما، زخت السماء الشاخصة زخات رقراقة من ماء راقص وكأنها أرادت أن تبارك لقاء حبهما، وتلطف من حرور أشواقهما قبل أن يصحوا البشر.

نظرا إلى السماء بعيون ضاحكة، وجريا تحت المطر عاريين من همزات وهمهمات المارة. جريا كطفلين بلا ذنوب وردائهما اللهفة والأشواق، لا يدريان من هما وأين هما ولماذا هنا الآن. هما فقط طفلين بلا عنوان أو أسماء.

هما رجل وامرأة تجردا من زينة الأرض وتعلقا بقطرات ماء السماء ليرتفعا عن هنا لمزيد من الحب والشوق والعشق والهيام. تمنيا أن يُرفعا إلى السماء الدنيا قبل أن يفيق النهار ويصحوا على أنين قلوبهم وهمهمة البشر من العزال.

نسيا العالم من حولهما ونسيا أن العالم يصحوا عندما تهيج أشواق العشاق. ولكن لم ينسي العالم من هما، وأين هما، وكيف كان لقاء الغرام بينهما تحت رذاذ المطر في ليل هائج بالولع والأشواق.

وهما في غمرة العناق، ابتسم لهما بعض المارة ومروا كراما غير عابئين إلا بابتساماتهم الخجلى المبعثرة. ووقف بعض المارة شاخصين

عيونهم لا يدرون ماذا هم بفاعلين تجاه تلك النيران المشتعلة في عيون وشفاه العاشقَين. جري البعض نحوهما يخسفان على شفاه العاشقين من أوراق الشجر المبللة بزخات المطر.

ورغم الجَلبة وضجيج همهمة العابرين، لم يشعر العاشقان بالعالم السفلي تحت مشاعرهما وأشواقهما المستعرة. ولكنهما أفاقا فجأة عندما شعرا بتراكم أكوام أوراق الشجر المبللة برذاذ المطر وهي تغطي شواطئ شفاه الوصل بينهما.

وهنا أفاق العاشقان، وانتفضا، وتلعثما وهربت الأشواق من أديم القلب لتختبئ هناك بعيدا بعيدا خجلي بين الأنامل التي هرب منها الدفء ولهيب الأشواق وسكنها البرد والقلق. انطفأت شعلة الحياة فيهما. سقط هو مغشيا عليه من الخجل، وسقطت هي فوقه من الندم تنتحب من مخاوف اللوعة والفراق.

جري المخرج والمنتج والمصور ليساعدوا البطل والبطلة على النهوض مهللين "رائع رائع، مشهد رائع وأداء تمثيلي ممتاز". صاح المخرج في الجميع "انتهي تصوير الفيلم بنجاح واكتشفنا بطلين بنجاح، وعقبال الفيلم القادم بنجاح".

نظر إليها بعينين مبللتين بدموع الفرحة ووجنتين متوردتين من الخجل، أنا لم أكن أمثل، أنا كنت أحيا لحظة الاعتراف "أحبك منذ أن قابلتك". نظرت إلى أشعة الحب بين عينيه تُقبلها بملء شفتيها "وأنا التي أحببتك". ودون أن يدري، قبلها بجنون وكأن كل خلية في جسده أصبحت شفاه حالمة. تعانقا في نهم.

فوجئ بالمصور يلتقط لهما هذا المشهد الخالد من لقاء الحب ويطبعه هدية لهما مكتوب عليها "كلاكيت آخر مرة" على سبيل التذكار والمُزاح.

نظر بعينيه المبللتين بدمعات الصبر إلى الصورة المعلقة على جدار غرفته التي يسكنها برد الوحدة القارص في صيف قائظ، نعم صديقي المصور كان المشهد حقًا "كلاكيت آخر مرة" فلم يعد منه سوي صورة معلقة على حائط الزمن وحفنة تراب من الذكريات.



مشاعر على إشارة مرور

"وما زال الطريق لهما من البيت إلى العمل هو الحبل السري إلى بيت الزوجية والشهيق"

على إثر أتصال هاتفي على التو عن حادثة طريق ألمت بابنها الوحيد تركت كل ما لديها من أعمال وجرت مهرولة. الخبر شتت خلايا قلبها وعقلها إربا وجعلها تتحول من سيدة الأنوثة إلى لواء مرور ومطافئ تقود سيارتها بسرعة مذهلة لكي تطمئن على إبنها الوحيد في المستشفى. أوقفتها إشارة المرور اللعينة غصبا فصرخت عيناها المبللة بالدموع صرخة كادت أن تذبح قلبها الرهيف، ولكن من يسمع صرخات القلوب. الباكية.

تلاقت عيناها مع عينيه وهو يقف على ناصية الطريق. تمنت لو يقترب منه لتستحلفه بكل حبيب لديه أن يفعل شيئا ويساعدها ليحول هذه الإشارة بعيونها الحمراء بدون قلب إلى اللون الاخضر.

تلاقت عينيه مع عيناها الخضراء والتي تبدوا بلون خضرة الربيع. رأي في فناء عينيها جنات العالم أجمع وطيبة قلوب العالمين وحنان وأنوثة الجميلات. أنوثة الحبيبة والأم والبنت والأخت والعامة والخالة الذي يبحث عنه منذ شعر بنهر المشاعر يموج في دماءه بلا شاطئ.

سألته على استحياء وغضب كتمته في أنفاسها "ارجوا حضرتك تساعدني في المرور من هذه الإشارة الطويلة لظرف طارئ وخطير... أرجوك".

دارت الدنيا برأسه في تلك الثواني القليلة. تعجب كيف لعينين عابرتين أن تخطفا قلبه مرة واحدة هكذا وبدون ترتيب أو حديث أو تعارف مسبق. تمني لو كان هو إشارة المرور الخضراء والحمراء والصفراء ليلبي حاجات عينيها وقلبها وعقلها. وجد نفسه على الفور يندفع وسط العربات ليوقف المرور على جميع الجوانب لكي تسير هي إلى طريقها. فعل ذلك دون أن يتحدث إليها ولكنه تحدث إلى سيارتها وهي تجري بعجلاتها المسرعة بعيدا عن عينيه متمنيا لقلبه أن يراها مرة أخرى.

لوحت له غير مصدقة لما فعل.

لوح إليها بيديه وقلبه وعقله وتمني لو كان طفلا ليجري وراء السيارة ليعرف إلى أين يأخذها الطريق.

أحب وعشق إشارة المرور هذه التي طالما تعود الوقوف بسيارته بالقرب منها لينظم الطريق ويشرف على تسجيل مخالفات المارة دون أن يبالي بلون العيون، ولا بدقات القلوب، إلا سيارتها في ذاك اليوم حين ألقت على رموش عينيه قميص حب دافئ.

وهي لم تنسي تلك اللحظة التي رأته فيها يفسح بنفسه الطريق حتى عشقت لون الرصيف، ولون الإشارة الحمراء، وضياء النجوم، وشهامة النسر على كتفي فارس الطريق.

ومنذ تلك اللحظة أصبحت إشارة المرور الحمراء والخضراء والصفراء ثلاث شمعات شهود على قصة حب ولد على أجمل طريق.

ومازال الطريق لهما من البيت إلى العمل هو الحبل السري لبيت الزوجية الذي أضائوا على بابه ثلاث لمبات حمراء وصفراء وخضراء.



شيزوفرينيا المشاعر

"الحب مثل الجنين يزرع عندما تتقابل المشاعر وتتزاوج وينمو ويصبو ويشب مع القلوب"

وقف أمام المصعد بعد أسبوع طويل من التفكير في عينيها وشفتيها وصوتها متلذذا بمشاعر حب جارف أطاح بقلبه الساكن في صدره بلا شكوى وبلا تنهيدة فراق.

وقف في نفس المكان بجوار المصعد الذي شهد لقاؤهما الأول منذ أسبوع صدفة. نفس المكان الذي تركته فيه واقفا يلملم مشاعره المبعثرة حواليه ببطء متعمد حتى يستمتع بكل لحظة تنهدت فيها

وتحدثت وابتسمت وضحكت. كل لحظة تمايلت فيها بقصد أو بدون قصد وهو يرقبها بكل جوارحه وأنفاسه ودقات قلبه المدوية.

وقف أمام المصعد يترقب طلتها التي انتظرها أسبوعا كاملا لتزور المكان كعادتها حالما بمشاعر حب رآه في ابتسامة شفتيها وضحكات عينيها في الخمس دقائق التي منحها الزمن لعينيه أن تراها وتتحدث إليها. خمسة دقائق لم يصدق نفسه أنها قابلته ولمست أناملها كفيه، وشهقت رئتيه زفير رئتيها، ولامس صوت كلماتها أذنيه. لم يصدق أنها هي التي تمني أن يقابلها ويحادثها ولو صدفة، وأنها الحلم الذي نال من مقلتيه في هذا المكان في الدور العاشر في هذه البناية التي تستحق الآن أن يحكم العالم منها ولكن بالرومانسية.

وقف أمام المصعد ينتظر حبه الوليد، ممنيا نفسه أن يطول اللقاء هذه المرة وأن يعبر لها عن مذاهب حبه الأربعة، وعن أمنية قلبه في البوح للعالم العلوي والسفلي بحبه الدفين. وتمني أن يطول الانتظار ليتلذذ بحلو طلتها.

وما أن أضاء المصعد علامة الصعود حتى تبعثرت مشاعره من الفرحة محاولا أن يلملمها وهو يغازل نبضات قلبه الذي يتدحرج أمامه كالعصفور ليفتح باب المصعد لها وهو يشعر بأنفاسها.

انفتح باب المصعد لتطل منه بوجهها الضاحك، وعينيها التي تشرق منها الشمس، ووجنتيها التي يسكنهما ضوء القمر.

وعينيه في عينيها بلا استئذان، مد يده إليها وملئُها وجد الاشتياق. سلمت عليه بانبساط يناسب وجهه الطيب.

تذكرته فاطمأنت عليه وبادلته كلمات الصباح بضحكاتها التي توقظ الصبح من غفلته، وهمت بالانصراف لتلحق بجدول أعمالها.

نظر إليها نظرة رجاء، لماذا تنصرفين عني وأنا أنتظرك منذ أسبوع.

قالت بدلال، ولماذا تنتظرني، هل جد جديد.

قال، أحببتك وتملكني حبك وظننت أن الهواء أخبرك بحبي، وعشمني الهوى بحبك.

ردت باستغراب ودلال، وهل أخبرك أحد بحبي. أخبرتني ضحكاتك الصافية ونظرات عينيكِ الحالمة.

ضحكت ضحكة كلها خجل ودلال، يا عزيزي الحب مثل الجنين يزرع عندما تتقابل المشاعر وتتزاوج، وينموا، ويصبوا، ويشب مع القلوب. الحب لا يولد شيخا، ولا يولد أمام المصاعد، ولا في الطرقات ولا الحضانات.

نظر إليها غير مصدق، وذرفت من مقلتيه دمعة حزن، نعم عزيزتي، وقد يولد الحب بلا رحم، وعندما يولد الحب هكذا يصير نقطة ضعف العشاق.

نظر إلى المصعد الذي شهد ولادة مشاعره بلا رحم ومشي يجرّ قلبه وراء قدميه وترك الزمان والمكان. خاصم المصعد وهبط السلالم بلا وعي وبلا هدف وبلا قلب وبلا عقل. هبط السلالم في بطء شديد لا يدركه وكأنه يمشي وراء جنازة حبه الذي ملأ عليه الحياة في مجرد أسبوع واحد في حياته. وعند آخر سلمة نظر إلى المصعد نظرة أخيرة يودعه هنا كما ودعه هناك منذ قليل في الدور العاشر.

وفجأة انتفض قلبه مرة أخري من كهوف صدره عندما رآها وهو غير مصدق تخرج من المصعد وابتسامتها المشرقة الضاحكة تتدحرج أمامها، وابتسامتها التي تذيب شباب قلبه الثائر دلالا وعشقا. تعجب أكثر عندما وجدها قادمة نحوه.

نظرت إليه بعيون نادمة، آسفة جدًا على ما قلته لك منذ قليل، هذا الكارت الخاص بي ولا تتردد أن تتصل بي في أي وقت تشاء.

أمسك ببطاقة التعارف غير مصدق وبقلب مندهش وعقل شارد وهو غير مستوعبا للحظة. لم يفق من دهشته إلا وهي تعود إلى المصعد مرة أخري لتصعد إلى عملها التي تركته خصيصا لتلحق به.



أفاق على ضربات قلبه التي ترقص الآن دقات السامبا بعد أن كانت قد تجمدت بين ضلوعه. انتفضت خطواته واتسع صدره وتغيرت ملامح وجهه إلى ملامح فارس مغوار في الحب ونظر إلى المصعد بابتسامة ملأت العالم فرحة.

أمسك بطاقة التعارف يتحسسها بين يديه كأنها كتاب حبه ومشي في الشارع يبتسم بحب وفخر للناس وللأشياء. تعجب كيف تلعب المشاعر بحالة القلب هكذا من فرح إلى حزن ومن حزن إلى فرح.

وما أن دخلت المصعد حتى أطلقت تنهيدة كبيرة كادت أن تقضي على قلبها اليوم فهي لم تتعود أبدا أن تؤذي مشاعر المعجبين، وشعرت أن هما كبيرا قد إنزاح من على قلبها الغض.

سمع تنهيدة قلبها من بعد وكأنها تنهيدة العشق الكبرى التي أطلقتها إعلانا لتزاوج قلبها بقلبه، ولم يدري أنها تنهيدة لسراب المشاعر على طريق شيده هو وحده ورصفه بحبه وحده، حب من طرف واحد.



عندما يتواعد الحب

"تناثر الحب من قلبيهما ليعطر الهواء بعبير المشاعر"

اندفعت مسرعة نحو الشباك المطل على الشارع الرئيسي لتراه وهو يخرج من باب المنزل بعد أن قضي معها ساعة كاملة في صحبة والدتها، ساعة كانت تترقبها منذ ٦ أشهر بسبب سفره باحثا عن العلم والمال في إحدى دول أوروبا ليكون جديرا بها كما أخبرها. نادت عليه كطفلة متعلقة بحنان والدها وتمنت أن تخرج معه اليوم لتستمتع بكل دقيقة من عمر أجازته القصيرة قبل عودته إلى مقر بعثته لستة أشهر أخري والتي قد تطول لعام كامل.

وما أن دلف من بوابة المنزل إلى الشارع حتى توقف وأدار جسده لينظر تجاه الشباك وكأنه شعر بصوتها قبل أن تطلقه في سماء الليل الصافي منادية عليه بلسان حالها ورهافة قلبها العاشق "يا عمر"، النداء الذي كم يعشقه كلما نادته. ابتسم ابتسامة أضاءت وجه الليل وأرسل إليها قبلة احتضنتها في صدرها لتنام عليها حتى الصباح.

أحبته سماح جدا، سكن حبه قلبها وسار في عروقها يحمل أوكسيجين الحب إلى كل خلية في جسدها لتتنفس كلها حب عمر، وحنان عمر الذي عوضها عن فقدانها لوالدها ولمرض والدتها ووحدتها بعيدا عنه طوال الفترة الماضية. أحبته بجنون حتى تمنت أن تكون كل الأسماء عمر، وكل الضحكات من عمر، وكل الهمسات لعمر، وكل الأنفاس من عمر.

تمنت أن تصحبه هذه المرة إلى مقر بعثته لتكون بجانبه ولكنه أخبرها أن الوقت لم يأذن بعد، فتمنت حينئذ أن تتحول إلى إنسان وحيد الخلية وتحقن نفسها فيه لتعيش في جسده وروحه للأبد بلا مخاوف من غربة في الحاضر أو المستقبل.

بعد أن لوح إليها مشي في الشارع الذي شهد حبهما منذ ثلاث سنوات يتغنى بحبه وممنيا نفسه بمستقبل ضاحك في البعثة يحقق فيه آماله العراض، العلمية والمادية والأدبية، ليليق بحبها له وأولاد المستقبل وهي الآنسة المدللة التي يتهافت عليها الخطاب. مشي

كالطفل في الشارع تارة ينظر على البلكونة التي مازالت تقف فيها سماح ناظرة عليه بحب ودلال، وتارة يحلق في كل الأشياء أمامه مبتسما لها كشواهد على طموحه وحبه لسماح.

وما أن اختفي عمر عن أنظار سماح حتى دلف إلى شارع جانبي يؤدي إلى ناصية الميدان الذي اعتاد أن يذهب إليه ليقضي السهرة الأسبوعية مع أصدقاء العمر لتعطيه نشوة تكفيه لتكملة باقي الأسبوع. ولكن شعوره وهو ذاهب الآن مختلف بعد أن تقدم لخطبة سماح منذ أسبوع وموافقة أسرتها بعد رفض عنيد في بادئ الأمر والذي تقهقهر أمام إصرار وإلحاح سماح بعد وفاة والدها.

أغلقت سماح البلكونة وراءها ودخلت والفرحة تسبقها إلى الصالة لتجد والدتها تنظر إليها بفرحة هي الأخرى على فرحة سماح.

"خلاص ياستي ودعتيه..." استقبلتها أمها بابتسامة وهذه الجملة.

وبشقاوة بنت مدللة ممزوجة بفرحة ردت سماح تداعب أمها "ودعته إيه بس ياماما، ما تقوليش كده ياحبيبتي، مش بحب الكلمة دي، قولي سلمتي عليه، اطمنتي عليه".

طبعت سماح قبلة على وجنتي أمها ودخلت حجرتها لتعيش اللحظة مع مشاعرها التي ترقص في قلبها بعد أن قابلت حبيب القلب وخطيبها وفارسها اليوم بعد غياب ستة أشهر كاملة. نظرت سماح

لملامحها في المرآة متخيلة نفسها وهي ترتدي فستان الفرح وهي تتأبط عمر إلى عش الزوجية...

ابتسمت وضحكت على نفسها وارتمت بفرحتها على السرير تفكر ماذا ترتدي له غدا، وإين تقابله، وإلي أين يذهبا سويا وهي تتأبطه أمام الناس بلا خجل، وأين يقضوا المساء وأين وأين وأين، وظلت تتخيل غدا حتى نامت في حضن سريرها كالطفل الذي يحتضن الحنان بصدر أمه من الفرحة...

وصل عمر إلى الكافيه ولكنه لم يجد من زملائه أحد سوي محمود الذي كان على سفر هو الآخر لإحدي الدول العربية. تعجب عمر من عدم وجود باقي الأصدقاء الخمس فهم على موعد معه منذ أمس بالإضافة إلى أنه جاء متأخرا عن الميعاد بسبب زيارته الأولي لسماح بعد الموافقة على الارتباط بها.

طمأنه محمود بأنهم مؤكد على وصول، ومين يدري، قد تكون هناك مفاجأة تنتظرنا منهم يا عمر.

جلس عمر يحكي لمحمود عن مشاعر الغربة، ومشاعر الحب، والطموح في الحياة داخل وخارج مصر، وكيف يشعر تجاه حبيبته الكبرى مصر، وعزمه على نقل كل ما سوف يتعلمه في البعثة لبلده، وكيف يشعر تجاه حبيبته سماح من مشاعر تملأ هذا الكون ليصبح كله سماحة في سماح.

ظل محمود يستمع وينصت إلى عمر حتى لا يقطع عليه حديثه الرومانسي هذا في حب سماح وحب الوطن فهو يعلم تماما كيف يفكر عمر وكم هو مرتبط بوطنه وبحبيبته.

وبعد غياب عمر في الانسياب في الحديث دون أن يدري وكأنه لم يتحدث منذ سنوات، قاطعه محمود بضحكة صافية، يا سيدي أنا أعلم بأنك وطني حتى النخاع وحب وطنك يسري في عروقك وحب سماح في قلبك "كفايا على كده أنا خلاص قلبي ها يتقطع وبعدين سيب شوية لأصحابنا لما يجيوا ولا ها تعيد من الأول يا صاحبي".

ضحك محمود ضحكة سمعها كل من في الكافيه، فكم افتقد هذه التعليقات المصرية المميزة خلال الستة أشهر الماضية. أوكيه صديقي سوف أتوقف ولكن أنت تعلم كم كان اشتياقي أن أحقق حلمي وأسافر للخارج في بعثة لكي أتعلم وأنقل كل ما تعلمته لبلدي بعد عودتي، كما أنك تعلم جيدا مدى حبي الذي كم يصبرني على الغربة، وتعلم مدى فرحتي اليوم بإعلان ارتباطنا.

ألف مبروك يا صديقي ويعلم الله كم أنا فرحان لك وسنكون جميعا بجوارك في فرحك الأسبوع القادم وستكون انت وسماح فرحتنا الكبري وعقبالنا بعدك يا صديقي. ولكن هل ياتري اخبرتها على المفاجأة

ولا نسيت. مؤكد سوف تسعد جدا عندما تعلم أنك أنهيت إجراءات سفرها معك والمطلوبة من جانبك.

لا يا محمود لم أخبرها بعد على هذه المفاجأة، ولكن أجلتها ليوم الخطوبة لكي أفاجئها خاصة أنها تأكد لها مني أن الإجراءات صعبة وبأن الوقت لم يحن بعد.

فعلا يا عمر، سوف تكون مفاجأة كبيرة لها، ربي يسعدكم ويوفقكم هنا وفي بلاد الغربه وتحقق كل أمانيك. "تشرب إيه بقي على مايجي الباقي، أنا ماطلبتش حاجة وكنت مستنيك على ماتيجي".

علينا بالشاي يا محمود حتى يأتي الجميع ونبدأ البرنامج. وفجأة توقف عمر عن الحديث عندما وقعت عيناه هناك في أول الشارع على مالم يتوقعه أبدا.

حلمت سماح بكل الأحلام التي تتمني تحقيقها مع عمر وخاصة حلم سفرها معه لتكون بجانبه في بلاد الغربة حتى يعود، حلمت به يمشي بجوارها مبتسما سعيدا وقدميه تطير فوق الأرض وهي تجري بجواره لتلحق به. وفجأة أفاقت من الحلم لتجد نفسها بملابسها التي قابلت عمر بها منذ قليل. قررت أن تفاجأه الليلة والآن وهو جالس مع أصدقائه بهدية جميلة وعزومة لوحدهما أو حتى مع أصحابه ليحتفلا بهذه اللحظة التي لا تنسي في حياة حبهما.

عجبتها الفكرة جدا فنهضت وعدلت من هندامها وزينتها وأستأذنت أمها في الخروج والتي وافقت في النهاية بعد إلحاح وإصرار من سماح على وعد أن تكون على إتصال وألا تتأخر ليلا. قررت سماح أن ترتدي فستان الخطوبة "الفوشيا" الذي اشترته حديثا لتفاجأ به عمر. نزلت متجه بكل فرحتها إلى الشارع الذي تعلم تماما أن فيه الكافيه الذي اعتاد عمر أن يقابل فيه أصدقائه. مشت وأسدلت الإيشارب على وجهها حتى تفاجأ عمر لتنتشي بأثر الدهشة في ملامح وجهه الطيبة.

فوجئ عمر بسيارة ليموزين بيضاء طويلة لم يرها من قبل ويطل من سقفها المفتوح ثلاث من أصدقائه وبيدهم صحبة ورد من الورد الأحمر والأبيض. لم يدري ما السر وراء ذلك ووقف فارغا فاه على دهشته من هذا الموكب الذي لا يعرف له سبب. وصلت العربة تحت أقدام عمر ونزل منها أصدقائه ليفاجأ بتقديمهم هذه الورود له مباركين له الموافقة على الإرتباط بسماح، وفوجئ أكثر بصديقيه الأخريين بتقديم بذلة سمراء هدية له. لم يصدق نفسه ورقرقت عيناه بدموع الصداقة التي يراها أمامه في مفاجأة لم يكن أبدا يتوقعها. عانق عمر أصدقاءه وعانق محمود الذي اكتشف أنه كان يعلم كل شيئ فابتسم له واحتضنه بكل حنان.

وهو مازال في حضن الأصدقاء والفرحة في قلبه تماثل أمام عينيه خيال سماح من وراء فستان رائع يخفي جمالها المرهف. أمعن النظر في هذا الوجه الملائكي الذي يقف وراء أصدقائه ينظر إليه بدلال ورقة ليفاجأ بسماح ترفع الإيشارب عن وجهها لتطل عليه بابتسامتها العذبة ملوحة له بأناملها الرقيقة ومشاعر الحب تتناثر من نظرات عينيها.

لم يصدق عمر نفسه وهو محاط بحب أصدقاءه وحنان حبيبته. شعر وأن العالم بكل جماله وحنانه بين يديه. أقبل على سماح يقبل طرف فستانها وتأبط ذراعها ومشي الهوينة متبخترا وهي تميل برأسها على صدره الحنون وأصدقاءه حواليه يزفون حبه وحب سماح بأمنياتهم الطيبة على أروقة الشارع وكافيه الأصدقاء.

تناثر الحب من قلوبهما ليعطر الهواء بعبير المشاعر وعمر يردد مع دقات قلبه لقد خُلقت من جديد... ركبا الليموزين ليطلا من سقفه كأحلي وأجمل حبيبين على دقات قلبيهما وأماني الأصدقاء.

طافا المدينة ليشهد على حبهما وبلا ترتيب منهما في هذا المساء الذي كان ينتظره منذ ثلاث سنوات كحلم جميل...



عيون لا تنام

"ناداها بكل الأسماء التي أطلقها عليها في أحلامه،
ولكنها أبت أن تأتي"

لم يصدق نفسه وهو يجري وراء القمر ويختبأ وراء الشمس ويلهوا بين النجوم يتحسس أريج خطاها وشذا أنفاسها. لم يصدق نفسه وهو يجدها أمامه تقدم له نجمة تتلألأ بين يديها. غمرته سعادة بملأ السماوات والأرض وسالت من عينيه دموع فرحة تكثفت على هيئة سحابات تمني لو تسقط منها أمطار الحب على العالم أجمع.

أمسك بالنجمة وقلبه يذوب من الفرحة. وما أن أمسكها حتى اختفت هي بكل جمال وحسن ورقة حضورها.

لم يصدق نفسه عندما اختفت فجأة وتسائل، لماذا ترحلين وأنتي في السماء بين يدي. كيف تهديني نجمة تتلألأ وترحلي بضيائك. تحولت دمعات الفرحة في مقلتيه إلى شلال من الحزن. أطلق النجمة من بين يديه لتعود إلى بيتها ووقف وحيدا بين النجمات وعينيه معلقة على الفضاء الذي تحول إلى صحراء جرداء ضيائها سراب.

نادي عليها بكل الأسماء التي أطلقها عليها في أحلامه. ولكنها لم تأتي. لم ييأس وظل ينادي بأعلي صوته الذي خفت رويدا رويدا ولم يبق منه إلا حبات من الأنين دفينة في أعماق جوفه الحزين. استسلم لحزنه وبعثرة مشاعره وحيدا في الفضاء وترك نفسه حرة لجاذبية حسنها لتلقيه أينما تشاء.

وهو معلق كالعصفور الشارد وسط النجمات وجاذبية الفضاء، استيقظ على يد طفلته الصغيرة وهي تمسح عن جبينه حبات العرق التي سالت على وجنتيه وبللت القصيدة التي كتبها قبل أن يغفوا في أحلامه.

أمسك بيد ملاكه الصغير يقبلها ويطبع قبلاته على جبينها فقد أنقذته بحنانها كعادتها من براثن أحلامه كلما كتب قصيدة من الخيال.

مسح بقايا الدمعات العالقة في عينيه وارتدي نظارته وأمسك بالورقة التي كتب فيها القصيدة الحالمة التي عشق كل كلمة فيها دون أن يحفظ أبياتها كما يفعل كل مرة. ولكنه فوجيء بأن دموع أحلامه قد أذابت الكلمات ولم يبق منها سوي أطلال حروف لا تخبره عن أي من أبياته التي بناها في الخيال قبل أن يغفو ليسعد بها في أحلامه.

شهق عندما رأي أطلال كلماته التي ذابت ورحلت هي الأخري، ولم يبق إلا فضاء الصفحة البيضاء وبعض رتوش زرقاء مبعثرة عليها هنا وهناك بلون الفضاء والسماء التي كان معلقا فيها يبحث في أحلامه عن حبيبته بين النجوم.

كتم شهقاته وحزنه وقام يكتب قصيدة عن هذا الحلم الذي أذاب الواقع ولكنه حرص هذه المرة ألا يغفو لأحلامه فقد خلدت طفلته التي تعتني بأحلامه إلى النوم لتسعد هي بأحلامها مع الملائكة.

ظل يراقب ملامح طفلته التي استسلمت للنوم وهو يقرأ عليها قصيدته الجديدة التي يوصف فيها طفولتها وحنان يديها وضياء جبينها ووجنتيها.



بكي من الفرحة من روعة الإحساس في الكلمات فقد كانت أول قصيدة يكتبها على الإطلاق في ملاكه ونجمته المتلألأة بالطفولة والبراءة.

وهنا أطفأ نور الغرفة ليخلد لأفكاره متعجبا كيف تعلمه الأحلام جمال الواقع.



حبيبة حلم

"حبيبتي، كما لم أقرر متى وأين أولد، كذلك لم أقرر متى وأين أحببتك"

أمسك بأناملها وراح يقص لها عن حبه الذي يجري أنهارا في عروقه. استسلم لسكون المساء الذي ملأ عليه وحدته التي بددتها وجهها الملائكي وضحكتها الطفولية التي نثرت عبيرها حوله كشهريار وهي شهرزاده.

لم يصدق أنها أمامه تنظر إلى عينيه تبحث فيهما عن قلقه وعن مستقبله. ترك عينيه لعينيها أرضا فضاء واسعة وهو يتمني أن تجري فيهما بفرسها الجامح. أطلق نسائم وده وعبير كلماته وهمس مشاعره في فضاء حجرته ليعكس صدي صوت مشاعره لعلها ترق له وتحتضنه

أنفاس حلمه، الذي كم تمناه من اللحظة التي قابلها فيها العام الماضي في رحلة قطار كانت هي له كل الركاب. رحلة قطار كانت صدفة ولكنه اعتاد بعدها أن يصاحب القطار من أجل عينيها بعد أن ذاب عشقا في عطر أنفاس يديها التي مازلت عالقة على خطوط راحتيه.

ودون أن يدري أمسك براحتيها وأطلق لسان حاله يحكي لها قصة مشاعره وهي واقفة تستند على جدار غرفته كملاك يخبيء عنه أجنحتها.

"حبيبتي، كما لم أقرر متى وأين أولد، كذلك لم أقرر متى وأين أحببتك. وكما كان إسمي وكما كانت ملامحي في المهد، كذلك كان حبي لكي في المهد. حبيبتي، سافرت بعيدا وقريبا، وقابلت وتحدثت إلى كل نساء العالم بكل اللغات وفي كل الأمكنة والطرقات ولكني لم أحب إلا أنت. حب أنساني الحياة، حب جعل مني ألف رجل ورجل، حب جعل مني طفلا يلهوا حواليكي، فقط ليتأمل كيف يسكن العالم الحلو عينيكي".

تمني لو ترد ولو بكلمة واحدة أو تنهيدة ولكنه عندما وجدها واجمة تنظر في عينيه مأخوذة بكلماته بلا أي تعبيرات، استمر في اعترافاته بلا خجل.

"حبيبتي، هناك كثير من الأوقات أري فيها نفسي لا أليق بقربك ولا بحبك. أشعر أني أحتاج أن أستعير من الزمن ألف عام وعام لكي أوفيكي حبك، وأحتاج الكون كله بين يديا لأقدمه قربانا لحبك. وأشعر

أحيانا أخري أني أمير الرجال بل كل الرجال، فقط لأني أحبك. ولكن أشعر أن حبك يشعرني بالحيرة والقلق والإرتباك. حيرة من أمر حبي الذي يكبر ويتفرع في قلبي حتى أصبح قلبي عنوانا للحب ولكن عنوانا بلا سكن أو بيت. وقلق على حبي الذي ملأ ثنايا العالم ولكنه مازال يتخفي وراء الجدران. أرتبك قبل أن أبوح بحبي الذي هاج في صدري وماج في عقلي حتى لا أغضبك. أخاف أن أبوح بحبك ولكن الشوق هدني والعشق تملكني وأتمنى البوح بكل جوارحي وجوانحي بحبك".

أحس بدمعات ساخنة تنساب على وجنتيه فحاول أن يحبسها، ولكن الدمعات انسابت، فتركها تفيض ليفضح مكنون حبه لعلها تهدهد مشاعره. ترك دمعاته تتساقط كنتح أوراق الشجر في فجر يوم الحب وترك كلماته تنساب بمشاعره لتخبرها بحبه كما تمني دائما أن تأتي الفرصة ليعترف أمامها.

وقفت هي بجانب شباك الغرفة تارة تنظر إليه وتارة على السماء الواسعة وهي تستمع اليه وفرحة مكتومة في عينيها.

انتشي كالطفل عندما لاحظ أذنيها تستمع وشفتيها تبتسم. شعر وكأن العالم كله يرقص فرحة اللقاء ونشوة الحب بين يديه، فاستمر في سيل اعترافاته...

"حبيبتي، وأحيانا تذرف عيناي الدمع لأني أحبك، وأحيانا أشعر أني طفلك بين يديكي. حبيبتي، مفتون أنا بحبك الذي تولد ونما وملأني كلي بلا قرار مني، فحبي لكي ليس صدفة ولا عن عمد ولا عن قرار. حبي لكي بلا زمن وبلا مكان. حبيبتي كلي فخر أني أحببتك ويزداد فخري أنك تسمعي قصة حبي".

ازداد رعد وبرق الليلة كما لم يحدث هذا الشتاء القارص. انتفض وصحا على صوت ارتطام زجاج الشباك الذي أطاحت به رياح شهر أمشير بلا هوادة.

بحث عنها على جدران غرفته، ولكنه لم يجدها هناك، ولم يجد إلا فستانها الزهري الذي رآها فيه أول مرة فلم يملك إلا أن يشتريه ويعلقه على جدار غرفته ليراها قبل النوم كل مساء.

تلمس الدمعات على وجنتيه فتأكد له أنه بكي حبه في حلمه، حبه الذي كان يوما ما يملأ حياته بحبها الدافئ قبل أن تعتزل حبه وتلعب دور الزوجة في حياة رجل لا يعرف طريق القطارات.

أكمل بكائه حتى ميعاد القطار لعله يراها هناك صدفة أو خلسة...



حالة حب

"ماذا يفعل قلبها بين ضلوع حانية وعيون قاسية"

جاءتها المكالمة التليفونية كشربة ماء في يوم حار، وكنسمة عبير تلطف صهد أوجاع يوم طويل مملوء بمنغصات الحياة. امتلأت جوانح نفسها فرحة بكل حرف بالمكالمة. جرفتها مشاغل اليوم وطلبات الناس في العمل وخارج نطاق العمل كما تعودوا دائمًا منها، أخت قريبة وأم حنون.

وهي في طريقها إلى المنزل، شعرت بحاجة ملحة لراحة الجسد المنهك والعقل الثائر متمنية أن ترى سريرها الآن لتلقي عليه جسدها وترتاح من تعب وهموم اليوم. ولكنها نست أو تناست كل أنواع التعب

وانطلقت بداخلها طاقة الفرحة الكامنة والسعادة النائمة عندما سمعت صوته يطلب لقائها اليوم بعد قليل. وافقت على الفور دون أن يُلح عليها علامة على حبها الصادق.

هو لم يصدق نفسه عندما وافقت أن تقابله الأن وليس الغد كما كان متوقعا واتفقا عليه مسبقا. جري نحو الِمرآة ليري ضحكات عينيه التي كانت تشاهد وحدته منذ قليل.

انتهت المكالمة بينهما لتبدأ رحلة لقاء اليوم التي جاءت له هدية ممن يعشق أن يراها وهي تبتسم، وهي تدمع، وهي تقف، وهي تمشي، وحتي وهي غائبة عن عينيه.

هي، ابتسمت وضحكت بلا سبب، ولكنها مؤكد منتشية بسبب هذا اللقاء، فكم تحتاج أن تتحدث إليه وهو يستمع لها حتى تنتهي من كل خواطرها دفعة واحدة، فكم تعشق إنصاته لها وابتساماته عندما يداعب الكلام شفتيها. وما أن وصلت المنزل حتى جرت كالطفلة تُغَير من ملابسها لترتدي زي "كاجوال". هكذا قررت وهي تبتسم لتفاجأه، فهي تعلم جيدا كم يحب المفاجآت وكم يعشق أن يراها وهي على طبيعتها حين تبدو كطفلة وهو صبيها المتيم.

كالطفلة، ارتدت نفس الفستان التي قابلته به أول مرة، المرة التي تحدثت عينيه فيها بدلا من شفتيه ليعترف لها بحبه دون أن ينطق بكلمة واحدة سوي "إزيك". جرت مهرولة ومفاتيح السيارة في إحدى يديها وشنطة اليد الصغيرة في يدها الأخرى وطارت بالأسانسير إلى الجراج ومنه إلى سيارتها، وأمام عينيها حبيبها الذي تتخيله الآن وهو يجري مهرولا إلى مكان اللقاء.

ركبت السيارة وتحسست الكرسي الفارغ بجوارها وتمنت أن يسعفها الوقت أن يجلس بجوارها ويصاحبها في جولة بعد اللقاء. طافت بالسيارة في شوارع المدينة والسعادة تغمرها كلما رأت مكانا وقفا أمامه مرة، أو ابتاعا منه شيئا، أو مرت السيارة أمامه وهما سويا.

أرادت أن تُشهد كل الأماكن التي جمعتهما في هذه المدينة الصغيرة كم تحبه، وبأنها على موعد معه الآن، فلتستعد كل الأماكن لاحتمالية زيارته هو وهي. وبعد أن طافت بالسيارة حول كل الأماكن، توجهت لمكان اللقاء وقلبها يرتجف من الفرحة.

أوقفت السيارة في البارك المجاور للكافيه التي تعودا على اللقاء فيه. طلت من شباك السيارة كالعادة فوجدته هناك ينتظر كالطفل الهائم بلا دليل، طفل يحيا بقلب من حرير. فتحت شنطة يدها لتري

عيناها في المرآه كما تعودت قبل كل لقاء، فتذكرت الخطاب الذي جاءها أمس من مجهول مع البواب.

تعجبت من الخطاب. من هذا الذي يرسل خطابا هذه الأيام في زمن الفيسبوك والإيميلات. لم تشأ أن تفتحه حتى لا تفسد اللحظة ولهفة اللقاء وطقوسه، ولكنها فوجئت بأن المظروف ممهور بكلمة "سري للغاية".

تعجبت ياتري من أرسله، ولماذا، وما هذه الغاية التي وراءها السر الذي يكمن بهذا الخطاب. ترددت أن تفتحه، ولكنها قررت أخيرا أن تقرأه لعلها تشارك حبيبها فيه عند اللقاء. قرأت الخطاب ولم تصدق كل كلمة فيه حتى وصلت لنهايته لتجد إسم غريمها الأول في نهاية الخطاب يحذرها بل يهددها من لقاء الحبيب الذي قد يكون آخر لقاء في الحياة بينهما إن تلاقيا.

نظرت حواليها خائفة ومرتبكة وحائرة، فوجدت وراءها شخصا ما في سيارة أخري يبتسم ويتلصص وينتظر. نظرت هناك على الكافيه فوجدته هناك ينظر في ساعته ويعدل من هندامه ممسكا بوردة حمراء وحولها ورود بيضاء يستعد لإهدائها عند طلتها بمدخل الكافية.

ولما رأته على هذا الحال، دمعت عيناها وخافت عليه من هذا اللقاء. نظرت خلفها، فتجمدت الدمعات في مقلتيها خوفا من نظرات هذه العيون الجامدة المتلصصة. إحتارت بين الإثنين، ماذا تفعل بين عيون حانية وعيون قاسية. وبعد لحظات قررت أن ترحل وتترك كل على حاله.

رجعت لسياراتها، وظلت تطوف شوارع المدينة على نفس الأماكن لتشهدها على عناد الزمن. دمعت عيناها مرات ومرات، ولم تدري بنفسها إلا والسيارة تقف دون وعي أمام الكافيه مرة أخري لتجده مازال هناك منتظرا. تعجبت كيف توقفت السيارة وقرأت مشاعر قلبها الباكي، ولم تمر لحظات حتى قررت بعفوية أن تنزل وتقابله حتى ولو كان آخر لقاء.

ولكنه كان أول لقاء لرحلة لم تنتهي حتى الآن، فقد كان الحب أقوي من كل التهديدات والمعلومات الزائفة في خطاب من مجهول.



حافلة الحب

"وكان هو شيف المشاعر يطهي مشاعرها ببطء على نار حبهما التي لا تنطفأ"

انتظر طويلا في المحطة الرئيسية للمدينة ليستقلا الحافلة سويا لتقلهما إلى الجانب الآخر من المدينة كما اتفقا الأسبوع الماضي. ولم تأت الحافلة ولكن أتت أشعة الضحى من وسط السماء قوية لا تبالي بالواقفين.

طوي أشعة الشمس الحارقة على كتفيه وتحت إبطيه ذكري للقاء لم يتم. مشي معتمدا على قدميه بدلا من الحافلة. فكر فيها في كل خطوة، وكيف تمكن حبها من قلبه، وكيف أنها لم تبالي وهان عليها ولم

تأت رغم كل التأكيدات. استمر في المشي فقط ليثبت لقلبه أنه يبالي بمن يحب.

وبعد حوالي الساعة من المشي المتواصل، وصل أخيرا إلى الجانب الآخر من المدينة ودخل الكافيه التي تواعدا فيها اليوم تذكارا لأول لقاء بينهما منذ ثلثمائة وتسعون يوما كاملة.

جلس على أقرب مقعد ليلتقط أنفاسه المتقطعة من شدة الإرهاق من جراء المشي المتواصل. ألقي بجسده المتعب على المقعد ونظر بشغف إلى النادل القادم ليطلب منه كوب بارد يشربه على الفور ليهدأ من ظمأ جوفه والتهاب وظمأ مشاعره.

وما أن رفع عينيه إلى أعلي حتى فوجيء بأنها هي بقدها النعسان وعبير أنفاسها الربيعي الدائم. شهق من الدهشة والفرحة.

انحنت أمامه في دلال "ماذا تطلب سيدي، أنا هنا نادلك اليوم كله".

نظر إليها بتعجب، كيف أنتي هنا سيدتي ولماذا أنتي النادل هنا.

ردت بابتسامة ملأت عليه الكون كله "أنا مفاجأتك اليوم سيدي، وأنا نادلك اليوم طواعية". أنا هنا لأكون في استقبال خطواتك التي اشتقت إلى دقاتها حتى تنتظم دقات قلبي الظمآن لهذا اللقاء.

وقف وحبه ينضح من دمه على جبينه المتعرق بالإشتياق، وكيف علمتي حبيبتي أنني هنا.

ردت بكل ثقة ودلال، لأني أعلم منك بقلبك، وأعلم أن قلبك سوف يمشي إلى هنا حتى وإن غابت خطوات أقدامي بجانبه.

لمعت عينيه بالحنين إلى همس شهيق وزفير أنفاسها وارتمي في واحة صدرها، وشرب ماء عرقها المندي بحديثها العذب.

جعلت راحتيها وسادة لوجنتيه، وراحا في غيبوبة من الوصال يحتفلا سويا بذكري أول لقاء جمعهما منذ عام مضي. وكان إهدائها لحبه أن قضت اليوم كاملا نادلة لمشاعره.

وكان هو شيف المشاعر يطهي مشاعرها ببطء على نار حبهما التي لا تنطفأ.

نظر إلى عينيها اللامعتين بحنين اللقاء، وشفتيها الموردتين بخجل الاشتياق، ووجنتيها الناعستين على حدود الفضاء، متمنيا ألا تأتي الحافلة أبدا بعد اليوم.

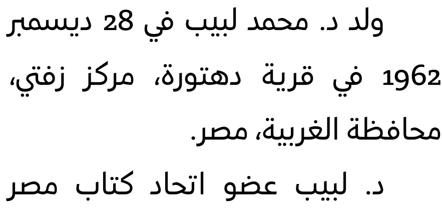


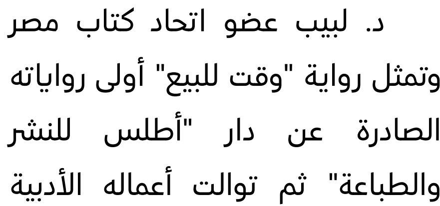
تمت بحمد الله

د. محمد لبيب سالم



نبذة عن الكاتب





ولد د. محمد لبيب في 28 ديسمبر 1962 في قرية دهتورة، مركز زفتي، محافظة الغربية، مصر.

د. لبيب عضو اتحاد كتاب مصر وتمثل رواية "وقت للبيع" أولى رواياته الصادرة عن دار "أطلس للنشر والطباعة" ثم توالت أعماله الأدبية لينشر المجموعة القصصية "العشق الحلال" والمجموعة القصصية "زحمة مشاعر" ورواية "كاندليه" و"الرصاصة الجينية" وكتاب "سفاري إلى الجهاز المناعي" وكتاب "زواج بويضة".

كما أن له أكثر من 120 مقالة منشورة في العديد من الجرائد والمجلات والمواقع المصرية والعربية.

حصل د. لبيب على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولي من رئيس الجمهورية 2019، وجائزة الدولة التقديرية لعام 2018، جائزة جامعة طنطا التقديرية لعام 2015، وجائزة الدولة للتفوق لعام 2009، جائزة الدولة التشجيعية لعام 2003.

قام د. لبيب بزيارة العديد من الدول مثل الصين، كندا، إيطاليا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، السعودية، الأردن، الإمارات. وقد أثرت هذه الرحلات وكذلك طبيعة العمل كباحث وأستاذ جامعي في أسلوب كتاباته الأدبية التي تتسم بالوصف والتحليل وربط الظواهر العلمية بالأمور الحياتية مع إضفاء الخيال الأدبي لإظهار الواقع بحس أدبي رفيع.

حصل د. لبيب على بكالوريوس العلوم عام 1984، وماجستير العلوم في 1989، ودكتوراه العلوم في علم المناعة في 1995.

د. لبيب باحث في علم المناعة على وجه العموم وفي مجال العلاج المناعي للأورام على وجه الخصوص.

د. لبيب عضو في العديد من اللجان القومية في التعليم والبحث العلمي وعضو في اتحاد الكتاب بمصر ومستشار علمي لمنظمة المجتمع العلمي العربي وعضو في هيئة التحرير للعديد من الدوريات العلمية ومجلس إدارة مدينة زويل.

وسائل التواصل


mohamedlabibsalem@yahoo.com


mohamed.labib@science.tanta.edu.eg


01274272624

فهرس القصص

✍ اترك لي انطباعك. وما هو رأيك؟

توقيع / _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

مشاعر آيلة للسقوط



"ترددت أن تلحق به وتلمس كتفيه بأطراف أناملها الرقيقة كما تعودت أن تفعل معه أيام شقاوة الحب الذي كان يجمع عقليهما قبل قلبيهما. حب رشيق نابض، غارت من دقاته زقزقة العصافير، وهمس البلابل، ونسائم الضحى، وعطر الياسمين. حب عشقه حتى اللائمون، وفجأة تجمد كل هذا الحب بسبب أعاصير هبت عليهما كرياح الخماسين. ولما رأته صدفة هرولت وراءه لتلحق به، إلا أنها تنازلت عن رغبتها الدفينة في لمس أنفاسه قبل كتفيه. وتساءلت في نفسها، هل هو الخجل أم كبرياء الحب؟ ....."

تلك هي اللحظة الفاصلة التي يستطيع فيها قلب المحب أن يمنع مشاعره من السقوط أو يتركها تتساقط حوله مثل أمطار الصيف فتختفي في شقوق جدران المشاعر الآيلة للسقوط. إنه اختيار القلوب بين السقوط في لجة المشاعر الآسنة أو أن تحلق في سماء المشاعر الآمنة.

وعن تلك اللحظات تدور هذه المجموعة القصصية التي قد تجد نفسك فيها هنا أو هناك وسط أكوام المشاعر.



